أدب الدعوة الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

حقوق الطبع والنشر والتوزيع محفوظة للناشر

الطبعة الأولى المزيدة المنقحة

الخاصة بدار الرشيد

١٤٣٠هـ - ٢٠٠٩م

يطلب من

المجمع الإسلامي العلمي

ص ب ١١٩ - ندوة العلماء - لكناؤ (الهند)

رقم الهاتف : ٠٥٢٢٢٧٤١٥٣٩

فاكس : ٠٥٢٢٢٧٤٠٨٠٦

E-mail:info @ airpindia.com

www.abulhasanalinadwi.org

أدب الصحوة الإسلامية

بقلم
الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي
الأمين العام المساعد لرابطة الأدب الإسلامي العالمية

دار الرشيد
لكناؤ - الهند

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

كلمة الناشر

هـذه هـي الطبعـة الرابعـة لكتـاب "أدب الصحـوة الإسـلامية" تقدمـها إليكـم "دار الرشـيد" للطباعـة والنشـر والتوزيع مزيدة منقحة، وقد سبق أن صدرت له ثلاث طبعات في فترات مختلفة من دور نشر عالمية في القاهرة ودمشق وعمان.

فصدرت هذه الطبعات الثلاث وانتشرت ونفدت في مدة قصيرة، مما يدل على أننا سئمنا من الرقود ونتطلع إلى النهوض، سئمنا من حياة الخضوع والإعجاب بالحضارة الغربية والإصابة بمركب النقص، فنريد الآن أن نقوم بتغيير أساليب الحياة ووجهات النظر ومناهج التفكير التي تتعارض مع المنهج الإسلامي السليم.

فهذا الكتاب الذي ألفه الأستاذ محمد واضح رشيد الحسني الندوي رئيس قسم الشؤون التعليمية لندوة العلماء يستعرض أدب الصحوة الإسلامية، ويقدم نماذجه الرائعة، ويتناول الأدباء الإسلاميين الذين استخدموا الأدب كأداة للدعوة إلى الإصلاح، وصد الهجوم على الأمة الإسلامية، وكشف زيف الحضارة الغربية، وتمكنوا من إنارة العقول وإحياء القلوب ورفع الهمم، وإيقاظ الوعي، وإثارة الحفيظة، وإشعال الغيرة، وإعداد الجيل المؤمن الأبي الباسل.

فلهؤلاء الأدباء منة عظيمة على أبناء الأمة الإسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

ولاسيما شبابها، فقد ركزوا كل جهدهم على أن ينتبهوا من سباتهم، ويصحوا من غفوتهم، وينهضوا من مضاجعهم، ليستعيدوا مكانتهم، ويبنوا العالم على أسس إسلامية متينة محكمة، ويعيشوا واثقين بدينهم، معتزين بشريعتهم، ومتبعين لسنة نبيهم صلى الله عليه وسلم.

فنذين للسيد جمال الدين الأفغاني، ومحمد عبده ورشيد رضا، ومصطفى لطفي المنفلوطي، ومصطفى صادق الرافعي، وشكيب أرسلان، والإمام حسن البنا، والدكتور مصطفي السباعي، والشهيد السيد قطب، ومحب الدين الخطيب، وعلي الطنطاوي، والدكتور محمد إقبال، والأستاذ أبو الأعلى المودودي، والشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي، في أنهم قاوموا الحضارة الغربية، ورفعوا القناع عن وجهها، ورسموا خطوطا للصحوة الإسلامية، ونادوا بها بصوت عال وأسلوب رائع وثقة كاملة.

فهذه الصحوة الإسلامية التي نشهدها اليوم في كل بقعة من بقاع العالم يرجع فضلها إليهم وإلى جهودهم وكتاباتهم.

ومن جانب آخر نشكر أستاذنا الفاضل محمد واضح رشيد الحسني الندوي على أنه أتاح لنا من خلال هذا الكتاب فرصة اللقاء مع رموز الصحوة الإسلامية.

فجزى الله عنا خير الجزاء .

جعفر مسعود الحسني الندوي

١٤٣٠/٢/١٣هـ

www.abulhasanalinadwi.org

بسم الله الرحمن الرحيم

استعراض كتاب
أدب الصحوة الإسلامية

بقلم: أحمد بسام ساعي (لندن)
إذاعة من المحطة البريطانية

الصحوة الإسلامية في الأدب والحياة، متى بدأت؟ ومن بدأها؟ ومن بشّر بها؟ وهل شملت المسلمين جميعاً أم اقتصرت على العرب وحدهم؟ وهل صدّرها غير العرب من المسلمين إلى العرب، أم العكس؟

ربما لا يعلم الكثيرون أن لقب "الندوي" ليس اسم عائلة هندية كبيرة، وإنما هو لقب ينتسب إليه كل من يدرس ويتخرج من دار العلوم بندوة العلماء في الهند، التي يرأسها اليوم المفكّر المسلم أبو الحسن علي الحسني الندوي.

وربما لا يعلم الكثيرون أن ندوة العلماء هذه خرّجت لنا أول جيل من غير العرب في العصر الحديث يكتب ويؤلف وينشر كتباً بالعربية، ليكون لهذه الكتب ذيوعها وتأثيرها الفكري والحضاري في العرب والمسلمين.

وواضح رشيد الندوي مؤلف كتاب "أدب الصحوة الإسلامية" هو واحد من هؤلاء الكتاب الهنود الذين كتبوا بالعربية، والذين يأتي على رأسهم الشيخ أبو الحسن علي

www.abulhasanalinadwi.org

الحسني الندوي صاحب الكتاب الهام والخطير" ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين" وقد صدر بالعربية عام ١٩٥١م، وهو أحد الكتب التي يركز عليها مؤلف هذا الكتاب ويجعلها بحقّ أحد منابع الصحوة العربية والإسلامية المعاصرة، ليس في الأدب وحده، بل في السياسة والفكر والدين والاجتماع ومناهج البحث أيضاً.

خطّ الصحوة الذي تتبعه المؤلف منذ القرن الماضي يبدأ بمسلم آخر غير عربي هو جمال الدين الأفغاني الذي وصل إلى مصر عام ١٨٧١م ليجد فيها طبقتين من الكتاب والمفكرين طبقة مفتونة بالغرب تمهّد لاستيلائه الفكري على الشرق، وتعبّد الطريق له، وأخرى من الكتاب والعلماء الذين انقطعت صلتهم بالحياة، يعيشون في عصر مضى، وينسجون على منوال كتاب القرون المتأخرة في أساليبهم الأدبية المتصنعة.

الأفغاني يزرع في نفوس تلامذته ومريديه هناك البذور الأولى للصحوة، ويحاول أن ينتقل بهم من أدب التقليد إلى أدب الحياة.

تلامذة الأفغاني وملازموه من كبار الشخصيات السياسية والأدبية في مصر والبلاد العربية تسلّموا بعد ذلك عجلة التجديد الأدبي والفكري، وعلى رأسهم الشيخ محمد عبده - الذي يتهمه المؤلف بالانحراف وموالاة الإنجليز فيما بعد

www.abulhasanalinadwi.org

وكذلك سعد زغلول وأديب إسحاق وسعيد البستاني، ورشيد رضا، وشكيب أرسلان، ومحب الدين الخطيب.

بعد مغادرة الأفغاني لمصر كان لصحيفة" العروة الوثقى" التي صدرت عام ١٨٨٤م بمعونة تلميذه محمد عبده، الأثر الكبير في إيقاظ الضمير الشرقي، ونفخ روح العمل والجهاد في المسلمين، ودفع الأباطيل التي كانت تروّجها أفواج الدارسين العرب العائدين من الجامعات الغربية، ثم تابعت صحيفة" المنار" هذا الدور، وعلى مدى خمسة وثلاثين عاماً حتى وفاة صاحبها العلامة رشيد رضا، وتتوالى بعد ذلك، على هذا الخط صحف ومجلات عديدة، كـ"الفتح" و"المؤيد" و"الرسالة" و"الثقافة" و"الأزهر" و"منبر الإسلام" و"الروضة" و"الشهاب" و"النذير" ثم "البعث الإسلامي" و"الرائد" الهنديتين.

ولا ينسى المؤلف الإشارة إلى دور كتاب" حاضر العالم الإسلامي وغابره" لأمير البيان شكيب أرسلان في فضح أدعياء العلم في الغرب، وكشف جهلهم لأصول العربية، مما أوقعهم في أخطاء من منهجية وتاريخية ولغوية لا تغتفر وهم يحكمون على الإسلام وحضارته.

مصطفى لطفي المنفلوطي(١٨٧٦-١٩٣٤م) كان له دوره الكبير أيضاً - ومن خلال كتابه "النظرات" خاصة - في خدمة اللغة العربية والأخلاق الإسلامية وتجنيب المجتمع

www.abulhasanalinadwi.org

العربي أذى الأضواء الغربية التي أعشت أبصار الكثيرين من صفوة أبنائه.

مصطفى صادق الرافعي جندي شجاع آخر في هذه المعركة حاول إحياء العربية وابتعاث الأسلوب العربي المتميّز والمتحرّر من ربقة التقليد، وهو الذي يقول في كتابه "وحي القلم": ما ذلت لغة شعب إلا ذلّ، ولا انحطت إلا كان أمره في ذهاب وإياب، وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدم لغة غيرها على لغة نفسها.

أسماء عدة توالى بعد ذلك في الكتاب، وهو يُظهر دور الأدباء والمفكّرين المخلصين من العرب في حماية الحضارة العربية والإسلامية: حسن البنا، سيد ومحمد قطب، علي الطنطاوي، مصطفى السباعي، مالك بن نبي، محمد البهي، يوسف القرضاوي، محمود أبو السعود، عمر فروخ، أنور الجندي، عبد العزيز الرفاعي، عبد الرحمن رأفت الباشا، محمد المجذوب، محمود شيت خطاب، وغيرهم.

المؤلف يحرص طوال الكتاب على إظهار دور الخط الإسلامي غير العربي في يقظة العرب والمسلمين، ابتداء من الأفغاني وانتهاء بمحمد إقبال وأكبر إله آبادي ومحمد علي جوهر، وأبي الأعلى المودودي، وأبي الحسن علي الحسني الندوي، وسليمان الندوي، وعبد الماجد الدريابادي، وشبلي

www.abulhasanalinadwi.org

النعماني، وسعيد الأعظمي، ومحمد الرابع الحسني الندوي، الذي قدمّ لهذا الكتاب وغيرهم.

الكتاب صدر عن مؤسسة "الرسالة" عام ١٩٨٥م في تسعين صفحة من القطع المتوسط، وهو بحق رصد سريع، ومنصف إلى حد كبير، لحركة الصحوة الإسلامية منذ أواخر القرن الماضي حتى أواسط هذا القرن العشرين.

أحمد بسام ساعي

١٩٩٦/٢/٢٨م

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

تقديم

بقلم الأستاذ محمد الرابع الحسني الندوي
مدير المكتب الدائم لندوة الأدب الإسلامي

لقد عكف الناس على الاشتغال بالأدب وممارسته في كل عصر ومصر في اللغات التي نضجت وتوسعت ، وقدَّموا نماذج رائعة ، دامت على مدى العصور مجالاً للاستفادة والاستمتاع ، في قليل أو كثير ، وقامت هذه النماذج بتمثيل جوانب الحياة المختلفة ، ومناهجها المتنوِّعة ، وصوَّرت كثيراً من الاتجاهات والتيارات الذهنية والوجدانية والنفسية في شتى الدهور والأزمان وفي مختلف جوانب الحياة .

ومن هنا كان الأدب الحرُّ غير الملتزم ، وكان الأدب المحافظ الملتزم ، وكان أدب الملاهي والحانات ، وكان أدب الطهر والنزاهة ، ومن هنا كان صحيحاً أن يكون الأدب إسلامياً وغير إسلامي ، أما الأدب غير الإسلامي فهو حرٌّ كحريَّة الشيطان ، ولكن الأدب الإسلامي فهو أدب يلتزم بالأخلاقية التي فرض الإسلام التزامها في الحياة ، والإسلام ليس منهجاً محدوداً ضيقاً للحياة ، فليس أدبه أدباً محدوداً

www.abulhasanalinadwi.org

وضيقاً ، وليس الإسلام تزمُّتاً وانكماشاً في الحياة ، فليس أدبه أدب التزمُّت والانكماش ، وليس محصوراً في ناحية أو في نواحي محدودة من الحياة ، بل هو متَّسِع كاتساع الحياة ، ومتعدِّد الجوانب ولكن كتعدُّد جوانب الحياة الملتزمة بالأخلاقية الإسلامية

دأب غير المسلمين في عصورهم المختلفة على أن ينظروا إلى الإسلام بنظرة التصغير والتضييق ، ولا يرونه لائقاً بأن يكون له أدب ، وإذا كان له أدب في حال من الأحوال فليس لائقاً بأن يعد أدباً حياً مقبولاً ، وقد سيطر هؤلاء أخيراً على العقول والأفكار ، ولاءمهم أن يتحكَّموا على الأهواء والرغبات ، فأثاروا الغبار على الإسلام وأدب الإسلام ، وكسوه بغبار كثيف من دعاياتهم وتعليقاتهم ، فلم يكن أدب الإسلام يعد أدباً حتى في نظر المسلمين أيضاً ، وذلك بتأثير دعايات مخالفي الإسلام وتغطيتهم لعيون محبي الإسلام كذلك

ولكن العالم الإسلامي بدأ يستيقظ من غفوته أخيراً ، وبدأ يبصر مكائد الأعداء وتضليلاتهم في الثقافة والفكر والأدب وبدأت صحوة في كل جانب من العالم الإسلامي وذلك منذ أوائل القرن الماضي أو قبله بقليل وقويت وتوسعت هذه الصحوة على مر الأيام وأثرت في مختلف جوانب الحياة

www.abulhasanalinadwi.org

وظهرت رسومها وملامحها في الأدب كذلك ، واستحقت النماذج الأدبيَّة التي ظهرت فيها رسوم هذه الصحوة أن تسمى بالأدب الإسلامي ؛ لكونها جزءاً متحركاً نابضاً من أدب الحياة ، ولا أقل من أنها استحقت أن تسمى بأدب الصحوة الإسلامية .

لقد بدأت الصحوة الإسلامية في العالم الإسلامي منذ أن اشتدَّت وطأة الاستعمار الغربي على أوطانه ، وظهرت ردود فعلها في الأدب العربي في مصر والشام أولاً ، وذلك في كتابات جمال الدين الأفغاني وتلميذه الشيخ محمد عبده عن طريق مجلتهما « العروة الوثقى » بصورةٍ خاصة ، وفي كتابات بعض معاصريهما في مصر والشام ، وفي الهند في كتابات زعماء تحرير البلاد أمثال مولانا أبي الكلام آزاد ، وظفر علي خان ، ومولانا محمد علي جوهر باللغة الأردية .

وتبعهم في هذا المجال عدد من الكتَّاب الإسلاميين الغيارى في الأقطار الإسلامية المختلفة ، وكان تأثير كتاباتهم قوياً في النفوس حيث أحدثت حركة نفسية وثورة شعورية ضد الاحتلال ، وكانت مصحوبة بالنظرة الإسلامية الصالحة ، وخاضعة للأخلاقيَّة الإسلاميَّة الغيورة ، فكونت بذلك أدباً يستحق بجدارة أن ينتمي إلى الإسلام ، ونجد له نماذج مبعثرة في كتابات هؤلاء الكتَّاب المذكورين .

www.abulhasanalinadwi.org

ولقد مرَّت الصحوة الإسلامية في الأدب العربي بمراحل متعدِّدة ، ومنها مرحلة تتصف بشعور الضيمَ والعدوان الذي كان الشعب المسلم يواجهه من الاحتلال الغاشم الكافر ، فكان الأسلوب الخطابي وعنصر الخيال سائداً في أساليب أدب الصحوة في تلك المرحلة .

ثم دخلت الصحوة في مرحلة السَّعة والنضج إلى حد ما ، فدخل الأسلوب الأدبي إلى مجال الفكرة ومنهج الواقعية والوضوح في كتابات الأدباء الإسلاميين ، وذلك لمقاومة جهود الإضلال العلمية في كتابات المستشرقين والمتبعين للأسلوب العلمي الرشيق من خصوم الإسلام والمسلمين .

ونجد نماذج هذا النوع من الأدب في كتابات الأدباء الباحثين من رجال الفكرة الإسلامية ، ومثالهم من الهند العلامة شبلي النعماني وبعض معاصريه ، وطائفة من تلاميذه ، وكان أكبر مجال لجهودهم الأدبية وهو التاريخ الإسلامي والثقافة والآداب الإسلامية ، ولكن منهج هذه الكتابات كان منهج الاعتذار والدفاع إلى حد ما ، وذلك بسبب الهجمات العلمية الشديدة التي كان يقوم بها المستشرقون لهدم الشرف العلمي الحاصل للإسلام والمسلمين ، فاستخدم كتاب الإسلام في هذا المجال الأساليب الأدبية الرزينة الجادة المتصفة بالسلاسة والوضوح الأدبي ، وتطوَّر أسلوبهم في

www.abulhasanalinadwi.org

بعض الأحيان من الدفاع إلى الهجوم فكان تأثيره أشدَّ وأعظم ، ويمثل هذا النوع الأخير من الأسلوب كتابات الأستاذ المودودي في شبه القارة الهندية والأستاذ الشهيد سيد قطب في العالم العربي وبعض معاصريهما بصورة خاصة .

ثم تطوَّر الأسلوب الكتابي في أقلام الكتَّاب الإسلاميين فدخلت عليه الرقة والرشاقة والامتاع الأدبي ، وازداد بذلك تأثيره في النفوس وتحريكه للوجدان وإمتاعه للذوق الأدبي ، فأصبح يخدم الهدف في مجالين ، المجال الفكري والمجال الأدبي فأقبل القراء على قراءته بلهفة وشوق ، وعدوه في الإنتاج الفكري حيناً والإنتاج الأدبي حيناً آخر ، ولم يكن يخلو من السمتين ، يمكن أن نجد نماذج مثل هذا الأسلوب في كتابات الأستاذ السيد أبي الحسن الندوي : والأستاذ علي الطنطاوي وعدد من معاصريهما وتلاميذهما .

ولقد لعب هذا الأسلوب القوي المؤثر لأدب الصحوة الإسلامية دوراً مهماً في نشر الفكرة والتأثير على القلوب والنفوس ، وكان له سهم كبير في هز نفوس الشباب الإسلامي في العالم الإسلامي

على كلٍ فإن البحث الذي نحن بصدده يقدِّم استعراضاً لأدب الصحوة الإسلامية ، بتقديم طائفة من نماذجه المختلفة ، قدَّمه الأستاذ واضح رشيد الندوي أستاذ الأدب

www.abulhasanalinadwi.org

العربي الحديث وأدب الدعوة بكلية اللغة العربية في دار العلوم ندوة العلماء لمؤتمر الندوة العالمية الأولى للأدب الإسلامي المنعقد في دار العلوم ندوة العلماء في جمادى الأولى عام ١٤٠١هـ وقد أردنا أن نفرد هذا البحث بالنشر نظراً إلى قيمته الفنية والعلمية ، فإن الموضوع من أهم الموضوعات التي تستحق منا العناية بالبحث فيها وإلقاء الضوء القوي عليها ، حتى يعرف جيلنا الإسلامي الصاعد ما عنده من تراث أدبي علمي عظيم ، ولا يبقى تحت الستار المضلل لدعايات الأدباء الأعداء للإسلام والمسلمين في أقطار العالم .

لقد كانت الندوة العالمية للأدب الإسلامي التي عقدت في دار العلوم ندوة العلماء أول ندوة علمية في الأدب الإسلامي ، وقد عقدت في عام ١٤٠١هـ مع أنها كانت تستحق أن تعقد قبل هذا بكثير ، ولقد تنبّه الناس بتأثير هذه الندوة على أهمية الأدب المسمى باسم حبيب وهو إسم الإسلام ، وعلى أنه مستحق بأن يقبل ويدرس ويخدم ونحمد الله تعالى على أن عدداً من الجامعات الإسلامية أقبلت بعد ذلك على الاهتمام بالأدب الإسلامي بجعله من مقررات مناهجها الدراسية ، وبعقد ندوات له ، وذلك علامة خير وعلامة حياة أمتنا ، وصحوتها من غفوتها الفكرية والأدبية التي دامت طويلاً في الماضي .

www.abulhasanalinadwi.org

إن الصحوة الإسلامية أصبحت حقيقة لا تنكر اليوم . فأدبها كذلك أصبح حقيقة لا تنكر ولا تقبل الجدال . وسوف نجد مثالاً لذلك في صفحات هذا البحث

أرجو أن ينال هذا البحث من قرّائه التقدير ، ويكون موضوعاً للمنفعة والاستفادة وبالله التوفيق .

محمد الرابع الحسني الندوي

دار العلوم ـ ندوة العلماء ـ لكهنؤ

١/ ١٢/ ١٤٠٢هـ

www.abulhasanalinadwi.org

www.abulhasanalinadwi.org

أدب الصحوة الإسلامية

قضى الأدب العربي حياة الخمول متنحياً عن الحياة ومسائلها ، قروناً طويلة ، بعد أن خضع لأسلوب التكلُّف والزخرفة والتنميق ، وصار صناعة ، لضعف الملكات الأدبية والسليقة في الإنشاء ، وتعبيراً عن خيال مكرر معار ، في أسلوب منمَّق موشى ، يمجُّه الذوق السليم ، وتعافه الطبيعة

كان ابن خلدون قد سلك مسلكاً جديداً ومال عن النهج المألوف للأدباء والكتَّاب ، واختار للتعبير عن آرائه وأفكاره ، وتقديم وجهات نظره وتصوير الحياة ، أسلوباً مرسلاً غير متقيِّد ، تستسيغه الأذهان ، فاعتبره مؤرخو الأدب مجدداً للأسلوب العربي ، ومحولاً له من أسلوب الصنعة إلى الأسلوب المتوازن المتصل بالحياة ، لكن المنهج الذي سلكه ابن خلدون ظلَّ منعزلاً غير مؤثِّر على أساليب الكتابة حتى في عصر النهضة العلمية في عهد محمد علي في مصر ، كما تبدي دراسة الرسائل ، والعقود والفرامين التي كانت تصدر من بلاط السلطان عبد الحميد ورسائل وكتابات الأدباء في أوائل القرن العشرين ، فإن الكتَّاب ظلُّوا متمسكين بأسلوب الزخرفة

www.abulhasanalinadwi.org

اللفظية والتعقيد ، فإذا كان هذا الأسلوب متبعاً لدى الولاة والحكام والوزراء ، فما بال الأدباء والمتفننين الذين يميلون إلى التنميق والتزيين اللفظي .

كان أول اتصال للأدب العربي بالحياة ، ومسايرته لركبها ، واسترساله في وصف نعيمها وشقاءها وإبرازه لتطلُّعات الإنسان وتصوير عيشته والتعبير عن أحلامه ، ووصف بؤسه وحرمانه ، وتمثيله دور المثير للهمم ، والتحميس والدفع إلى العمل والكفاح ، بأيدي الدعاة والمصلحين ، الذين خاطبوا الأمة الإسلامية مباشرة ، وحاولوا إيقاظها من السباب ، وأثاروا فيها الحمية الدينية ، والغيرة ، وروح الإباء والصمود ، وحملوها على أن تشمر عن ساق الجد لمواجهة الأخطار المحدقة بها من كل جانب ، وأنذروها بتداعي كيانها .

ولنقف هنا قليلاً لنستعرض أساليب الكتابة في العهد الذي وضعت فيه اللبنات الأولى للكيان العلمي وبدأت العلوم تنقل إلى العربية ، وبدأ فيه الاختلاط بعلماء الغرب ، وشاعت اتجاهات تقليد الغرب ، لنعرف أيَّ تأثير كان أقوى على الأدب ، أهو تأثير العلوم الغربية ؟ أم تأثير جهود الإصلاح ، والدعوة التي قام بها المصلحون الإسلاميون .

يرجع اتصال مصر بالعرب إلى احتلال نابليون في عام

www.abulhasanalinadwi.org

١٧٩٨ الذي شجع حركة النقل والترجمة والطباعة والصحافة وأطلقت في ذلك العهد الحريات للمسيحيين والمبشِّرين لفتح المدارس ، وأرسلت البعثات إلى أوربا ، وفي عهد إسماعيل ازداد عدد المدارس والمطابع وتقاطر الأجانب على مصر وسوريا ولبنان .

يعتبر رفاعة بك الطهطاوي (١٨٠١ - ١٨٧٣م) إمام النهضة العلمية في مصر ، وبجهده جرى تطعيم الفكر العربي ، بالفكر الغربي ، ونقلت عدة آثار أدبية غربية إلى اللغة العربية ، كتب أحمد عبيد ، وهو معاصر لرفاعة بك الطهطاوي في كتابه « الروض الأزهر » كنت تحت إرشاد مدير مدرسة الألسن السيد رفاعة الطهطاوي فأجاد تربيتي كغيري ، حتى حسن حالي واجتهادي في نيل المعالي ، بين أمثالي ، واقتضى رأيه المؤيد وحزمه المعضد ، أن أترجم كتاباً في التاريخ فأختار ملكاً من ملوك الإفرنج تعلو همته على المريخ ، وهو كتاب بطرس الأكبر وفضله أشهر من أن يذكر »[١] .

وكتب رفاعة بك الطهطاوي نفسه ، « الوطن هو عش الإنسان الذي فيه درج ومنه خرج ، ومجمع أسرته ومقطع

---

(١) الأدب الحديث : (١/٢٩) .

www.abulhasanalinadwi.org

سرَّته ، وهو البلد الذي نشَّأته تربته ، وغذَّاه هواؤه ، وربَّاه نسيمه ، وحلَّت عنه التَّمائم فيه[1]

وقد حاول السيد رفاعة تجديد الأدب وأسلوبه لكنه لم يتخلص جملة من تلك القيود القديمة والزخارف اللفظية[2] .

وكتب الشيخ حسن العطار (١٧٧٦ ـ ١٨٣٥) « إن أحسن وشيٍ رقمته الأقلام ، وأبهى زهر تفتحت عنه الأكمام ، عاطر سلام يفوح بعبير المحبة نفحه ويشرق في سماء الطروس صبْحُه

سلامٌ زهر الروض أو نفحة الصبا ، أو الراح تجلَّى في يد الرشأ الأعلى ، سلام عاطر الأردان ، تحمله الصبا سارية على الرند والبان » .

تدل هذه النماذج التي عرضناها على أن الكتَّاب كانوا متمسِّكين بأسلوب الكتابة القديم في أوائل القرن التاسع عشر وكان كبار الكتَّاب يقلِّدون الحريري ، وألَّفوا كتباً في معارضة المقامات ، مما يدل على كَلَفهم بذلك الأسلوب حتى في أواخر القرن التاسع عشر .

ألَّف الشيخ ناصيف بن عبد الله اليازجي (١٨٠٠ ـ

---

(١) نفس المصدر . ٣٨

(٢) في الأدب الحديث : (١/ ٣٨) .

www.abulhasanalinadwi.org

١٨٧١م) « مجمع البحرين » جاء في إحدى مقاماته .

« قال سهيل بن عباد ، دخلت بلاد العرب في التماس بعض الأدب ، فقصدت نادي الأوس والخزرج ، لأتفرَّج وأتخرَّج ، وآخذ من ألسنتهم بعض المنهج ، فلما صرت في بهرة النادي ، أخذ بمجامع فؤادي »

والذي يطالع مجمع البحرين يجده مجموعة من الغرائب البديعية والصناعات الشعرية والمعلومات اللغوية والنحوية والأوضاع الطبية الفلكية والأمثال العربية والألغاز اللفظية ، كل ذلك في جوٍّ من البداوة ، يشعر القارىء فيه أنه يعيش بين مضارب الأعراب ، أو في عصور العربية الأولى بعيداً عن عصر الكاتب وبيئته[١] .

وألَّف شهاب الدين الآلوسي (١٨٠٢ ـ ١٨٥٤) صاحب تفسير « روح المعاني » مقامات طبعت في كربلاء ، يقول فيها وهو يصف القسطنطينية .

« بلدة مونقة الأرجاء ، رائقة الأنحاء ذات القصور ، تضيق عن تصورها سعة الأذهان ، وتتجاذب الحسن هي وقصور الجنان . . . إلخ .

ويقول في موضع وهو يحذِّر أولاده من الدجَّالين :

---

(١) أنيس مقدسي في « الفنون الأدبية » .

www.abulhasanalinadwi.org

« يا بَنيَّ ! بعض الناس ذئاب ، عليهم من جلود الشاة ثياب . . . إلخ » .

هذه نماذج العصر الذي بدأ فيه الاختلاط ، أو الالتقاء بالفكر الغربي فلم تكن هذه النهضة إلا علمية صرفة ، بدون أي تأثيرٍ كبير على الأسلوب الأدبي الذي كان أسلوباً مزخرفاً ومسجوعاً ، وقد بذلت جهود للنهضة الأدبية في عصر إسماعيل ١٨٦٣م الذي التفت إلى توسيع نطاق الأدب وتحريره من القيود ، وتقريبه من الحياة ، وكان من الذين سعوا لتحويل الأدب إلى الاتجاه الجديد ووصف واقع الحياة أحمد فارس الشدياق (١٨٠٤ـ١٨٨٧م) الذي وسَّع نطاق الأدب باعتبار الموضوع ، ولذلك عده المؤرخون للأدب زعيم مدرسة التجديد ، لكنه لم يتحرر هو الآخر كلياً من تأثير الأسلوب المسجوع كما يدلُّ عليه النموذج التالي :

كتب أحمد فارس في وصف مصر :

« من خصائصها أيضاً أن البُغاث بها يستنسر ، والذباب يستصقر ، والناقة تستبعر ، والجحش يستمهر ، والهِرُّ يستنمر ، بشرط أن تكون هذه الحيواناث مجلوبة إليها من بلاد بعيدة . . . إلخ »

وكلام أحمد فارس رغم ما ينسب إليه المارونيون من

www.abulhasanalinadwi.org

تجديد وزعامة أدبية موفور الازدواج ، شديد الإطناب ، كثير الاستطراد ، ظاهر المبالغة .

وإذا قرأنا ما كتبه حمْزة فتح الله (١٨٨٩ ـ ١٩١٨م) وعبد الله النديم (١٨٩٦م) وغيرهما من الكتاب والخطباء والزعماء الذين كان لهم تأثير على النفوس ، علمنا أن أسلوب المتأخرين من الكتَّاب العرب كان يغلب عليهم ، وكان ذلك هو الأسلوب السائد ، في عصر أقبل الناس فيه على النقل والترجمة ، وبدأت فيه الحياة السياسية والأدبية ، وكان أسلوب المتأخرين ، أسلوب التكلُّف وهو الأسلوب الذي لا يستطيع أن يساير الحياة المتغيِّرة ، ويعالج المسائل المتجدِّدة للحياة ، لأنه أسلوب مثقل متكلَّف ، فلا يلائم إلا طبيعة المعقَّدين أو المتفرِّجين أو النائحين على الشقاء ، أما الذين يخوضون الحياة ويعزمون على تغيير الحياة ، أو توجيهها إلى جهة جديدة ، فيحتاجون إلى أسلوبٍ سيال ، مثيرٍ تمتزج فيه العاطفة والجدِّية ، إلى أسلوب يحمل تأثير الشعر في إثارة العواطف ، وإيقاظ الضمائر ، وعمل النثر العلمي في تكوين الفكر ، والتفهُّم والإقناع ، لأن تأثير الانفعال الذي يحدث بالشعر يكون قصير المدى وقصير الأمد مهما كان قوياً ، أما الأسلوب العلمي الخالص فهو يجمِّد القرائح ويهدِّىء الأعصاب .

***

www.abulhasanalinadwi.org

من أدب التقليد إلى أدب الحياة

وصل السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر ، في مارس ١٨٧١م وصادف طبقتين ، طبقة مفتونة بالغرب تمهد لاستيلاء الغرب الفكري وتعبِّد الطريق له ، وطبقة من الكتَّاب والعلماء الذين انقطعت صلتهم بالحياة ، يعيشون في عصر سابق ، مثل الشيخ ناصيف اليازجي .

يصف المفتي محمد عبده الاتجاهات الأدبية في مصر لدى وصول السيد جمال الدين فيقول : « كان أرباب العمل في الديار المصرية القادرون على الإجادة في المواضيع المختلفة منحصرين في عددٍ قليل ، وماكنا نعرف منهم إلا عبد الله باشا فكري ، وخيري باشا ، ومحمد باشا على ضعف فيه ، ومصطفى باشا على تخصُّصٍ فيه ، ومن عدا هؤلاء فإما ساجعون في المراسلات الخاصة ، وإما مصنِّفون في بعض الفنون العربية والفقهيَّة وما شاكلها ، ومن عشر سنوات ترى كتبة في القطر المصري لا يشق غبارهم ولا يوطأ مضمارهم ، وأغلبهم أحداث في السن ، شيوخ في الصنعة ، وما منهم إلا أخذ عنه أو من تلاميذه ، أو تقلَّد المتصلين به » .

www.abulhasanalinadwi.org

كافح السيد جمال الدين أول ما كافح أسلوب الكتابة ، وجعل الأدب السلاح الأقوى للدعوة إلى الإصلاح ، وصدّ الهجوم على الملّة الإسلامية ، ودعا دعوة صريحة إلى ترك ذلك الأسلوب العقيم الذي كان يسود في عصره

ويلاحظ هذا التحوُّل فيما كتبه أديب إسحاق (١٨٥٦ - ١٨٨٥م) تلميذ السيد جمال الدين ، وهو يشرح خصائص الأسلوب الجديد نتيجة لتربية السيد جمال الدين ..

« رأيتُ أن أصرف العناية والاجتهاد إلى تهذيب العبارة . وتقريب الإشارة ، لتقرير المعنى في الأفهام ، من أقرب وأعذب وجوه الكلام ، وانتقاء اللفظ الرشيق للمعنى الرقيق ، متجنباً من الكلام ما كان غريباً وحشياً ، أو مبتذلاً سوقياً ، فإن التهافت على الغريب عجز ، وفساد التركيب بالخروج عن دائرة الإنشاء داء إذا سرى في القراء والمطالعين ، أدى إلى فساد »[1] .

كان السيد جمال الدين يحمل تلاميذه وهم الذين التفوا حوله خلال إقامته بمصر ، وكانوا من أذكياء الطلاب ، ومن خير الأزهريين ، على نبذ الأسلوب الأدبي القديم الذي كان عقيماً ، نفخ فيهم روح الانبعاث والاندفاع والانطلاق ،

---

(١) في الأدب الحديث : ص٢٧٧

www.abulhasanalinadwi.org

ومعالجة المسائل بجدٍ وواقعية ، وحملهم على إنشاء الفصول الأدبية والاجتماعية والسياسية واختيار أسلوب يلائم العصر ويكون عاماً مفهوماً ، وكان تلاميذه هم طليعة النهضة الأدبية ومؤسسي بنيانها وهم الذين تقدَّموا للكتابة في الصحف والمجلات ، وكان منهم خطباء وعاملون في السياسة والاجتماع واستفاد كل منهم حسب ذوقه ، وطبيعته وكفاءته ، واندفع في ذلك الطريق .

كان الأدب عبداً للأرستقراطية لا همَّ له إلا مدح الملوك والأمراء ، والتغني بأفعالهم وصفاتهم مهما بلغ من ظلمهم فحوّل السيد جمال الدين مجرى الأدب ونقله من حال إلى حال وحرَّر الأدب من القيود وسخَّره لخدمة الشعب يطالب بحقوقه ويدفع الظلم عنه ، ويهاجم من اعتدى عليه كائناً من كان ، يبين للناس سوء حالهم ومواضع بؤسهم ، ويبصرهم سبب فقرهم ، ويحرِّضهم على أن يخرجوا من الظلمات إلى النور ، وألا يخشوا بأس الحاكم .

« أدباء مصر أمثال السيد علي أبي النصر ، والشيخ علي الليثي وعبد الله باشا فكري تتصفح آثارهم فما ترى إلا غزلاً في حبيب ، أو رسالة إلى صديقٍ ، أو مدحاً لأمير ، أو استعطافاً له واعتذاراً له ، فلما جاء جمال الدين قلب هذا الوضع وفتح للناس منافذ للقول »[1]

---

(١) زعماء الإصلاح : ص٦٩ .

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول المفتي محمد عبده :

« اتفق أرباب النظر في هذا العصر على أن قدوم السيد جمال الدين الأفغاني إلى مصر ، مبدأ الحركة الفكرية التي بدأت في البلاد العربية وسائر الشرق الأدنى ، ولم تزل تنمو إلى الآن رامية إلى تحقيق الشرف بالمعارف التي ساد بها الغرب ، ورفع سيطرة هذا عن ذاك وإعادة الشرق إلى سيرته الأولى من الرقيّ »

ويقول الأمير شكيب أرسلان عن تأثير السيد جمال الدين في الأدب :

« كانت (للسيد جمال الدين) حلقة خاصة في منزله انتظم فيها عدد من أدباء القطر يستفيضون من بحر حكمته ويستمطرون صوب صوابه اشتهر منهم الشيخ محمد عبده ، والشيخ عبد الكريم سلمان وإبراهيم أفندي اللقاني ، والسيد وفا القوني ، وسعد باشا زغلول ، الذي قيل لي إنه أدرك أخريات أيام السيد بمصر ، ولازمه ثلاثة من أدباء الشام النازلين بمصر مثل أديب إسحاق ، وسليم النقاش وسعيد البستاني وغيرهم ، واندفع مريدوه وحملة علمه يكتبون ويخطبون ويبثون إلى الملأ ما التقطوه من فوائده وانتظموه من فرائده ، كان ذلك لساناً عالياً ، لا عهد للناس بأمثاله ، وأسلوباً راقياً انقطعت منذ قرون عديدة نسبة رجاله ، فأحدث

www.abulhasanalinadwi.org

في الأمة حركة أفكار لم تكن من قبله ونفخ فيها روحاً سرية ظهر عليها طالع عرفانه وفضله فنشطت همم ، واستجدت عزائم ، وهبت قوى ، وفاضت قرائح »[1] .

يصف المفتي محمد عبده الانقلاب الذي أحدثه السيد جمال الدين في العقول ، والحياة العامة ! « جاء إلى هذه الديار في سنة ١٢٨٦هـ رجل غريب بصير في الدين ، عارف بأحوال الأمم ، واسع الاطلاع ، جم المعارف ، جريء القلب ، وهو المعروف بالسيد جمال الدين الأفغاني ، اشتغل بالتدريس لبعض العلوم العقلية ، فاستيقظت مشاعر ، وانتبهت عقول ، وخف حجاب الغفلة »

وترك السيد جمال الدين مصر ، وقد أنشأ بها جيلاً من الكتاب والأدباء ، والصحفيين الذين كان لهم دور قيادي في تنشئة الأجيال القادمة من الكتاب والساسة ، ولم تنقطع صلته بمصر والعالم العربي بمغادرته مكرهاً ، بل أقام جسراً بينه وبين العالم الإسلامي عن طريق العروة الوثقى التي تعتبر نواة الصحافة الإسلامية والأدب الإسلامي ، وقد أخذت هذه الجريدة من نفوس الشرقيين عموماً والمسلمين خصوصاً ما لم يأخذه قبلها وعظ واعظ ، ولا تنبيه منبّه ، وهي ذات أثر في كل

---

(١) حاضر العالم الإسلامي : ص٢٩١ .

www.abulhasanalinadwi.org

ما جدَّ بعد من حركات الوطنية والحرية في بلاد الشرق »[1]

كان جوهر دعوة السيد جمال الدين مكافحة خطر السيطرة الأوربية الذي كان يهدِّد العالم الإسلامي كله بعلومه وثقافته ، واستعماره السياسي ، وكان يؤمن بأن ذلك الهدف لا يتحقق إلا بالوحدة وإبراز الشخصية الإسلامية ، فخلق روح الصمود فيها ، وكان يرى الجهالة رأس البلاء ، والجمود العائق الأكبر في التقدُّم .

وقد كانت دراسة السيد جمال الدين للحياة دراسةً سياسية وقد قال وهو يستعرض الظروف السائدة في بلاد المسلمين في الشرق : « خصَّصت جهاز دماغي لتشخيص دائه وتحرِّي دوائه ، فوجدت أقلَّ داءٍ : انقسامُ أهله ، وتشتُّت آرائهم ، واختلافاتهم على الاتحاد ، واتحادهم على الاختلاف ، فعمدت على توحيد كلمتهم ، وتنبيههم للخطر الغربي المحدق بهم » .

ألهب السيد جمال الضمائر ، بدروسه ومقالاته ، وترك أثره في كلِّ مكان زاره ، وعقليَّةِ كل شخصٍ اتصل به ، وأيقظت "العروة الوثقى" الشعور ، فأخافت القوى الاستعمارية أكثر مما تخيفها المدافع والرشاشات .

---

(١) مصطفى عبد الرازق « العروة الوثقى » .

www.abulhasanalinadwi.org

كان السيد جمال الدين يرى أن صلاح الحكم وصلاح الرعية متلازمان ، والحكومة الصالحة عديمة الجدوى إذا كان الشعب غير صالح ، ولا تستقيم الحكومة وتنضبط إلا برأيٍ مستنيرٍ قويٍ .

ودعا السيد جمال إلى حكومة إسلامية تقوم على أساس تعاليم الإسلام ، وحينما رأى تعذُّر ذلك ، دعا إلى تحالف بين الحكومات على أساس القرآن ، والعدل ، والشورى ، يكون سلطانهم جميعهم القرآن ، ووجهة وحدتهم الدين ، و« كل ذي ملك على ملكه يسعى بجهده لحفظ الآخرين ، فإنَّ حياته بحياتهم وعزه بعزهم » .

انتشرت في عهد السيد جمال الدين الحركة العلميَّة ، وشاع في البلاد الإسلامية بإيعاز العلماء في الغرب أن التخلُّف في البلاد الإسلامية يرجع إلى الجهالة ، واتِّباع الدين ، فتهافت الناس على فتح المدارس ، وعلموا أن ذلك يحمل مفتاح التقدم .

فعالجت العروة الوثقى التي أصدرها السيد جمال الدين ، هذا الاتجاه وانتقدت هذا التفكير الذي لا يحلُّ إلا جانباً من مشكلة العالم الإسلامي فكتبت تقول :

« يظن قوم أنَّ الأمة المنبثَّة في أقطار واسعة من الأرض مع

www.abulhasanalinadwi.org

تفرق أهوائها وإخلادها إلى ما دون رتبتها بدرجات لا تحصر ، ورضاها بالدون من العيش ، والتماس الشرف بالانتماء لمن ليس من جنسها ولا من مشربها ، بل لمن كان خاضعاً لسيادتها ، راضخاً لأحكامها ، مع هذا كله يتم شفاءها من هذه الأمراض القاتلة ، بإنشاء المدارس العمومية ، دفعة واحدة ، في كل بقعة من بقاعها وتكون على الطراز الجديد المعروف بأوربا حتى تعم المعارف جميع الأفراد في زمن قريب » .

ثم تبحث المسألة وأبعادها وأن المدارس لا يمكن أن تفتح إلا إذا كان حكم قويٌّ قائماً بهذا الأمر ثم إنه لا يأتي بالنتائج إلا بعد مدة طويلة من الزمن عندما ينشأ جيلٌ جديد بتسلُّم زمام الأمور ، وهو عملية بطيئة ، ثم إذا تحقق ذلك ، وانتظرت الأمَّة الإسلامية هذا الزمن المطلوب ليعمَّ التعليم فنتائجه غير مضمونة لأنَّه كما كتبت المجلة :

« ماذا يكون في أولئك الناشئين من علوم لم تكن ينابيعها من صدورهم ، ولو صدقوا في خدمة أوطانهم ، يكون منهم ما تعطيه حالهم يؤدون ما تعلموه كما سمعوه ، لا يراعون فيه النسبة بينه وبين مشارب الأمة وطباعها ، وما مرَّت عليهم من عاداتها ، فيستعملونه على غير وضعه ، ولبعدهم عن أصله ، ولهوهم بحاضره عن ماضيه ، وغفلتهم عن آتيه يظنونه على

www.abulhasanalinadwi.org

ما بلغهم هو الكمال لكل نفس والحياة لكل روح » .

ثم يقول الكاتب : شيَّد العثمانيون والمصريون عدداً من المدارس على النمط الجديد ، وبعثوا بطوائف منهم إلى البلاد الغربية ليحملوا ما يحتاجون إليه من العلوم والمعارف والصنائع والآداب ، وكل ما يسمونه تمدُّناً ، وهو في الحقيقة تمدُّن للبلاد التي نشأ فيها على نظام الطبيعة وسير الاجتماع الإنساني ، هل انتفع المصريون والعثمانيون بما قدَّموا لأنفسهم من ذلك ؟

ويتساءل كاتب المقال عن النتائج التي حصلت بعد إنشاء هذه المدارس ، ويقول : « نعم وُجد بينهم أفراد يتفيهقون بألفاظ الحرية والوطنية والجنسية وما شاكلها ويصوغونها في عبارات متقطّعة بتراء لا تعرف غايتها ولا تعلم بدايتها ، ووسموا أنفسهم بزعماء الحرية أو بسمة أخرى على حسب ما يختارون ، ووقفوا عند هذا الحد ، ومنهم آخرون عمدوا إلى العمل بما يصل إليهم من العلم ، فقلبوا أوضاع المباني والمساكن ، وبدَّلوا هيئات المآكل والملابس والفراش والآنية وسائر الماعون ، وتنافسوا في تطبيقها على أجود ما يكون منها في الممالك الأجنبية ، وعدُّوها من مفاخرهم ونسفوا بها ثروتهم إلى غير بلادهم » .

ويهاجم المقلِّدين للغرب فيقول : « علَّمتنا التجارب ونطقت مواضي الحوادث بأن المقلِّدين من كل أمَّة المنتحلين

www.abulhasanalinadwi.org

أطوار غيرها يكونون فيها منافذ وكوى ، لتطرُّق الأعداء إليها ، وتكون مداركهم مهابط الوساوس ومخازن الدسائس ، بل يكونون بما أفعمت أفئدتهم من تعظيم الذين قلدوهم واحتقار من لم يكن على مثالهم شؤماً على أبناء أمتهم » .

فما هو العلاج ؟

يقول كاتب المقال : « علاجها الناجع إنما يكون برجوعها إلى قواعد دينها والأخذ بأحكامه على ما كان في بدايته وإرشاد العامة بمواعظه الوافية بتطهير القلوب ، وتهذيب الأخلاق ، وإيقاد نيران الغيرة ، وجمع الكلمة ، وبيع الأرواح لشرف الأمة ، ولأن جرثومة الدين متأصلة في النفوس بالوراثة من أحقاب طويلة ، والقلوب مطمئنة إليه وفي زواياها نورٌ خفي في محبّته فلا يحتاج القائم بإحياء الأمّة إلا إلى نفخة واحدة يسري نفثها في جميع الأرواح ، لأ قرب وقت » .

ثم يقول : ومن طلب إصلاح أمة شأنها ما ذكرنا بوسيلة سوى هذه فقد ركب بها شططاً ، وجعل النهاية بداية وانعكست التربية وخالف فيها نظام الوجود فينعكس عليه القصد ، ولا يزيد الأمة إلا نحساً ولا يكسبها إلا تعساً[1]

---

(١) العروة الوثقى .

www.abulhasanalinadwi.org

أصدر السيد جمال الدين « العروة الوثقى » في ١٣/ مارس ١٨٨٤م ١٤/ جمادى الأولى ١٣٠١هـ بمعاونة تلميذه الشيخ محمد عبده ، وكانت من أهداف المجلة كما بيَّنها في العدد الأول :

« ستأتي في خدمة الشرقيِّين على ما في الإمكان من بيان الواجبات التي كان التفريط فيها موجباً للسقوط والضعف ، وتوضيح الطرق التي يجب سلوكها لتدارك ما فات ، والاحتراس من غوائل ما هو آتٍ » .

وتكشف الغطاء عن الشبهة التي شغلت أوهام المترفين ، ولبَّست عليهم مسالك الرشد ، وتزيح الوساوس التي أخذت بعقول المنعمين حتى أورثتهم اليأس من مداواة علاتهم وشفاء أدوائهم .

وتنبه على أن التكافؤ في القوى الذاتية والمكتسبة هو الحافظ للعلاقات والروابط السياسية فإن فُقِد التكافؤ لم تكن الرابطة إلا وسيلة للقوي لابتلاع الضعيف .

وتهتم بدفع ما يُرمَى به الشرقيون عموماً والمسلمون خصوصاً من التهم الباطلة يوجهها إليهم من لا خبرة له بحالهم ولا وقوف على حقائق أمورهم ، وإبطال زعم الزاعمين أن المسلمين لا يتقدَّمون إلى المدنية ما داموا على أصولهم التي فاز بها آباؤهم الأوَّلون » .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد أثارت العروة الوثقى الضمير الشرقي ، وحفزته إلى العمل ، ودافع السيد جمال الدين وتلميذه محمد عبده عن الإسلام واستحثا المسلمين على الجد والكفاح ، وصدرت جرائد ومجلات إسلامية أخرى لمكافحة الغزو الفكري والسياسي لأوربا ونفخ روح العمل والجهاد في المسلمين ، وقامت حركات ومنظمات لتوحيد المسلمين ، وتربيتهم وتثقيفهم ، فكان دوراً حيوياً في مكافحة الاستعمار السياسي والثقافي ، ودفع الأباطيل التي كانت تروّجها الأقلام المسعورة التي وجدت في العالم الإسلامي بعودة أفواج المتعلمين من الغرب ، وكثرة ورود رجال التربية والثقافة من الغربيين ، وكافح هؤلاء القادة عناصر التدسيس والتشكيك في الأدب والتاريخ ، والثقافة الإسلامية .

إنَّ أخوف ما كان يخافه المستعمرون هو قوة الشعور الديني الإسلامي ، لأن الإسلام دين يدعو إلى العزة والكرامة ، ويأبى على المسلم أن يخضع لسواه ، وأن يذلَّ ، وفي يقظة الشعور الديني استرجاعٌ لماضي هذه الأمة المجيد ، وكان هذا الشعور مرتبطاً باللغة ، والتاريخ ، والثقافة ، وقد جرَّب المستعمرون أن الحروب التي شنُّوها على المسلمين لم تكسر شوكتهم ، فحاولوا تجربةً جديدة وهي إضعاف الشعور الديني والارتباط بالماضي ، واستهواء الشعب المسلم

www.abulhasanalinadwi.org

بالمغريات المادية ، والخلقية ، وفي الوقت نفسه تلقينهم بأن ضعفهم وانحطاطهم يرجع إلى ارتباطهم باللغة والدين ، والثقافة الشرقية ، فوجهوا سائر طاقاتهم إلى الطعن في اللغة العربية الفصحى ، والثقافة الإسلامية ، وتشويه سمعة رجال الدين ، والحط من شأنهم

وقد تفرَّس السيد جمال الدين ، وأتباعه لهذا الخطر ، فركَّزوا على صيانة التراث الإسلامي والشخصية الإسلامية ، وتنقيتها من الشوائب ، وقد وقع بعض أتباعه في الإفراط والتفريط في ذلك ، لكنهم في تلك الظروف القاسية التي كان الدين ورجال الدين فيها مطعونين من كل جانب ، حاولوا أن يصونوا ما أمكنهم من الدين والثقافة الإسلامية ، فكان موقفهم في تلك الظروف موقف من يحمي داره من الحريق ، فحاول المصلحون من أتباع السيد جمال الاحتفاظ بالشعور الديني ، وقد مثَّلت مجلَّة المنار دوراً رائداً فيه ، يقول الإمام الشهيد حسن البنا وهو يشيد بدور المنار

« توفي السيد محمد رشيد رضا صاحب المنار الإسلامية بعد أن دخلت في عامها الخامس والثلاثين ، وصدر من هذا المجلد عددان هما الأول والثاني ، وتوقَّفت عن الصدور بعد أن ظلَّت طوال هذه المدة مدرسة أنجبت الكثير من رجال

www.abulhasanalinadwi.org

فقد وفق السيد جمال الدين إلى حدٍّ كبيرٍ في إحداث ثورة فكرية ، واستفز القلوب ، وكلٌّ من اتصل به أخذ قبساً من اللهيب الذي كان يتلظى في قلبه للإسلام والمسلمين والتلهف على التردّي والانحطاط الذي وصل إليه المسلمون ، ولكنَّ الظروف التي عاناها من المطاردة ، والشرود من بلد إلى بلد وعدم استقراره في بلد لم تمكنه من تربية أتباعه فاقتبس أتباعه من حرارة قلبه لكنهم سلكوا مسالك متعددةً وأحياناً متناقضةً ومعكوسةً لتحقيق ذلك الهدف وكان من المفارقات الغريبة أن أقرب أتباعه وهو المفتي محمد عبده انحرف إلى ولاء بريطانيا ، ولجأ إلى تأويل النصوص عقلياً وفتح الأبواب على مصراعيها للاختلاط بعلماء الغرب ، والاستفادة منهم علمياً وفكرياً ، وجاء بعده رجال لم يكونوا مثقفين بالثقافة الإسلامية ، ولم يتربوا تربية دينية فظنُّوا أن التقدُّم لا يتحقَّق إلا باتِّباع طريق أوربا ، فمالوا إلى محاكاة الغرب بما فيه من محاسن ومساوىء ، واقتصر جهدهم للنهوض بالمسلمين على المسرح السياسي ، أما على المسرح الثقافي والفكري فأخذوا ببريق الحضارة الغربية ، وصبت سائر هذه الطاقات التي ولدها

---

(١) مذكّرات الدعوة والداعية : للإمام الشهيد حسن البنا

www.abulhasanalinadwi.org

الأفغاني في مصهر سياسي ذابت فيه مكونات الشخصيَّة الإسلامية ، إلا الجهود المنعزلة الفرديَّة للعلامة السيد رشيد رضا ، وشكيب أرسلان ، ومحب الدين الخطيب ، وقد بعث انحراف أتباع الأفغاني إلى تقليد الغرب لتقدُّم العالم الإسلامي ولو بالانسلاخ من الحضارة الشرقية الشكوك في نفوس عدد من المفكرين في حركة الأفغاني ونواياه الحقيقية ، فإن صلة أقرب تلامذته المفتي محمد عبده بالانجليز وجهوده لتوطيد أركانهم ونشر أفكارهم وتأويل النصوص إلى حد التحريف وثقة الإنجليز فيه ، كل ذلك علامات سؤالٍ يحار الفكر الإسلامي الحديث في الرد عليها .

أنشئت بعد الحرب العالمية الأولى جمعيات دينية سياسية كثيرة ، كافحت الإنحلال الخلقي وغزو الحضارة الغربية ، كان منها الشبان المسلمون ، وحركة الخلافة في الهند ، وظهرت في هذا العهد عدة جرائد ومجلات إسلامية ، وتصدَّت الصحافة الإسلامية لمواجهة الاستعمار السياسي والغزو الثقافي ، وقد كان السيد محب الدين الخطيب في البلاد العربية رائد هذه النهضة العلمية والأدبية التي هاجت على الغزو الفكري ، كما كان الإخوان ، محمد علي جوهر ، وشوكت علي رائِدَيْ النهضة الأدبية ، والصحافة الإسلامية في شبه القارة الهندية .

www.abulhasanalinadwi.org

كافح الإعلام الإسلامي بمكانته الأدبيَّة المعترف بها ، الغزو الفكري بكل حدَّة ، وصلابة وصمود رغم وسائله المحدودة ، فكانت المنار والفتح ، والمؤيد ، والرسالة ، والثقافة ، والأزهر ومنبر الإسلام ، تقوم بنضال مقدَّس في العالم العربي وكانت الهند تسير جنباً بجنب معها بالصحف والمجلات التي كان يصدرها مولانا محمد علي ، وأتباعه ، ومولانا أبو الكلام آزاد والعلامة شبلي النعماني ، والأستاذ عبد الماجد دريابادي .

قاوم هؤلاء الأدباء الاستعمار ، وأيقظوا المسلمين من سباتهم ، ووحَّدوا صفوفهم ، ونفخوا فيهم روح العمل وألَّبوهم على أعدائهم ، وأثاروا فيهم العاطفة الدينية ، ودافعوا عن الإسلام ونفوا عنه الأباطيل والسموم التي كان ينفثها المستشرقون وأتباعهم من المثقفين الجدد والذين كانوا أخطر على الإسلام والمسلمين من الاستعمار ، وقد دافعت هذه الأقلام عن الإسلام وعن العربية ، والتاريخ الإسلامي ، وقاوموا حركات التغريب ، التي كان يقودها المثقفون الجدد كطه حسين وسلامة موسى والكتاب المارونيون الذين سيطروا على الصحافة والإعلام ، فنفثوا سمومهم وساندتهم الحكومات القائمة .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

نشأة الكتّاب المتغرّبين

إنَّ أدباء العرب هم في الواقع الأدباء الذين احترموا اللغة العربية ، وقدَّروا التراث العربي ، وقدَّسوا الثقافة العربية ، وتمجَّدوا بعهد العرب الزاخر الذي انتقل فيه العرب من الجزيرة ، وخرجوا من حياة العزلة ، والشقاق ، والتحجُّر إلى قيادة العالم ، والتفَّ العالم حولهم ، وانتشرت بفضل ذلك العهد الثقافة العربية ، واللغة العربية وآدابها إلى سائر أنحاء العالم ، وصار العرب فيه قدوة وأسوة ، أما الذين نظروا إلى هذا العهد باحتقار ، وشكوا في أدب العرب ، وشعرهم ، وتاريخهم ، وثقافتهم وبهتوا بثقافة الروم واليونانيِّين وحاولوا أن يربطوا العرب بذيلهم ، ويرجعوا كل فضل في تاريخ آداب العرب وحضارتهم إلى اليونانيِّين والروم ، وشوَّهوا التاريخ المجيد ، فإنهم كتَّاب وأدباء مؤجَّرون وإن كانوا ينتمون قومياً إلى العرب ولا يستحقُّون أن يعدوا من الكتَّاب العرب والأدباء العرب الأقحاح ، وإنما هم متغرِّبون ويجب أن يعاملوا معاملة الخلعاء .

www.abulhasanalinadwi.org

لقد كان من الظلم السافر أن تسلط على دنيا الأدب والعلم أصحاب قلم انقطعت صلتهم عن الإسلام والعرب ، لغة وثقافة وقوميَّة فأثقلوا كتاباتهم بالمعاني والأفكار الأجنبيَّة واختاروا أسلوباً لا يمت إلى العربية إلا بالألفاظ فكان منهم من طالب بتغيير الخط العربي ، وإحلال العاميَّة محل الفصحى ، وبذر الشكوك في التراث الأدبي للعرب ، وأنكر أصالة الآداب والعلوم العربية ، وشك في بطولة قادة العرب ، وتاريخهم المجيد ونظام حكمهم وحياتهم[1] فقد أتيحت الظروف لهذه الطائفة لنشر أفكارها في العالم العربي وسخِّرت لها سائر الوسائل وأسندت إليها المناصب العالية ، وعدَّ هؤلاء الكتَّاب أدباء العرب ، والحق أن أدباء العرب الأقحاح هم الذين دافعوا عن التراث العربي الأدبي ، والثقافي ، والفكري ، والتاريخ العربي ، ودعوا إلى إحياء عناصر المجد العربي التي منحت العرب قيادة العالم ، وتستحق هذه الأقلام العربية كل تنويهٍ وإشادةٍ ، وقد تعرَّضت لجفاء من الكتَّاب في تاريخ الأدب العربي ، الذين أبرزوا لمصلحة منهم شخصيات استخدمت اللغة العربية ، والأدب العربي لهدم الأفكار العربية ونقض

---

(١) أمثال : طه حسين ، وسلامة موسى ، وعلي عبد الرازق ، وقد تصدَّى لكتاباتهم المضلِّلة عددٌ كبيرٌ من الكتَّاب ؛ وفي مقدمتهم علماء الأزهر ، ودحضوا أفكارهم .

www.abulhasanalinadwi.org

الثقافة العربية وتهجينها وسَخِروا من المُثُل العربية ، والتاريخ العربي ، ودور الإسلام في قيام الأمة العربيَّة ، ورفعها إلى مكانة الثقافة

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

الكتّاب الإسلاميون وجهادهم ضد التغريب

وإذا استعرضنا تاريخ الأدب المعاصر من هذه الناحية لمعت أسماء أولئك الكتّاب الذين كافحوا أقلام الغزاة من الغرب ، وتلاميذهم من المنتسبين إلى العرب ، الذين لا يكتمون خجلهم بهذا الانتساب ، لمعت تلك الأسماء للكتاب الذين ردّوا العدوان على العرب وحضارتهم ، وآدابهم ، وكان في مقدمتهم الأمير شكيب أرسلان ، ومصطفى صادق الرافعي ، والمنفلوطي ، والإمام حسن البنا ، وأتباعهم من الكتاب من الإخوان الذين أدركوا الخطر الجديد فقد اقتبسوا من توقُّد قلب الأفغاني ، لكن بتربيتهم الدينية ، وحبهم للعرب ، وروح الإيمان وثقتهم بسداد هذا الدين لرفع المسلمين عربهم وعجمهم ، ومعرفتهم لعدوّهم الحقيقي الذي يكيد لهم ، لم ينحرفوا إلى المجهود السياسي المجرّد الذي كان على حساب المثل ، وتضحية الشخصية الإسلامية ، بل بذلوا مجهوداً شاملاً ، وسعوا إلى الحرية الكاملة عن الاستعمار ، وإعادة مجد المسلمين ، وتكوين ثقافتهم من جديد ، واشتركت معها في هذا الكفاح أقلام من

www.abulhasanalinadwi.org

الهند ، تلك البلاد النائية التي حاربت الاستعمار الغربي ، وساندت العرب في كفاحهم ، ودعت إلى الجامعة الإسلامية .

أدب مواجهة الفكر الغربي بأسلوب دفاعي حذِر :

كانت العشرينات من القرن العشرين فترة حاسمة في تاريخ العالم الإسلامي ، فقد كانت القوميات تغزو الفكر في الشرق لتفكيك تصور الخلافة الإسلامية ، وقضاء الحضارة الغربية على ما تبقى من الحضارة الإسلامية ، بإحلال نظام التعليم والتربية الغربي محل نظام التعليم الشرقي ، وقد عادت في هذا العهد أفواج من المثقفين المسلمين في الجامعات الغربية ليحتلوا مناصب النفوذ والتأثير الفكري في العالم الإسلامي ، وكان أول عمل قام به هؤلاء المثقفون الجدد الدعوة إلى التغريب ، وحيث إن هذا العمل لا يمكن أن يتمَّ إلا بالتشكيك في العقائد الدينية ، والمقررات التاريخية ، وإضعاف ثقة الأمة الإسلامية في ثقافتها واحترامها للشخصيات الإسلامية ، والأسس الاجتماعية ، شن هؤلاء الخرِّيجون من المدرسة الأوربية ، وفي مقدمتهم الأدباء والكتاب المارونيون وأدباء المهاجر حملة شعواء على التراث ، والتاريخ والأدب ، واللغة[1] وكان من الغريب المدهش أن هؤلاء الكتَّاب كانوا

---

(١) عاد طه حسين إلى مصر في عام ١٩١٩ بعد دراساته في باريس ، وكان=

www.abulhasanalinadwi.org

يظهرون أنفسهم دعاة العربية ، لكنهم كانوا يشنون جملة على حضارة العرب وتاريخهم وثقافتهم وفي آن واحد ، كان هؤلاء الأدباء والكتّاب يهاجمون الإسلام وحضارته في الوقت الذي كانت أكبر قوة إسلامية تحتضر ، وكان المجتمع الإسلامي في حالة انفكاك وتشتت ، منهار القوى بسبب تداعي كيانه ، والعواصف الهوجاء التي كانت تهبُّ من أور با ، فسارت حملة علمية ، وحضارية ، وأدبية ، ودينية ، لزحزحة الثقة في الإسلام وصلاحيته لمسايرة الزمان ، ولغرس تفوُّق الغرب في القلوب والأذهان والادعاء بأن غلبة الإسلام وانتشاره كان حادثة أو مصادفة ، وأنه لم يعد يصلح لهذا الزمان ، ولعبت الصحافة ووسائل الإعلام التي كانت في أيدي النصرانيين عامة ، وهم يرتبطون ، بأوربا فكرياً وعقائدياً وأساتذة الجامعات والمدارس العصرية الذين نشأوا في أحضان الغرب بدور حاسم في إحداث هذا الانقلاب الفكري .

وقد تولّى المستشرقون في هذا العصر دور الأستاذية ، في كل موضوع ، وكانت آراؤهم وبحوثهم المزعومة تنتشر في

= إعجابه بحضارة اليونان بالغاً حد التخمة فألّف كتاباً لتحبيب الحضارة الغربية إلى النفوس والدعوة إلى الاقتداء بها ، وتسلم مناصب عالية تؤثّر على الفكر ، والأدب ، فكان هو وسلامة موسى في طليعة الدعاة إلى التغريب والإنسلاخ من العروبة والإسلام

www.abulhasanalinadwi.org

العالم الإسلامي ، وتقبل عليها النفوس باعتبارها بحوثاً موضوعية مجرَّدة عن التحزُّب أو التحيُّز ، رغم أنها كانت تخضع للنزعات الصليبية والاستعمارية والعنصرية ، وكانت بعيدة كل البعد عن الموضوعية رغم الدعوى بالموضوعية ، وراجت هذه البحوث الحاقدة على الإسلام ، وقامت الأقلام المتغرِّبة وأقلام الصليبيين بدعاية واسعة للإشادة والتنويه بهذه البحوث والتحقيقات في الأدب والتاريخ ، والثقافة وحتى العلوم الشرعية والنقلية كالتفسير والحديث والفقه .

كتب هؤلاء المستشرقون في التفسير ، وقالوا الكثير والكثير جداً ضد التفسير ، والذين كتبوا عن الحديث أرادوا أن يثيروا الشبهات حول رواية الحديث مثل جولد تسهير وشاخت وغيرهما وهذا بعينه هو ما حدث في ميادين التاريخ الإسلامي والفقه الإسلامي ، فهم قد كتبوا في هذين الميدانين ، وغايتهم إلقاء الشبهات في عقول المسلمين ، وتقديم الإسلام إلى الغرب بالصورة التي لا تشجع الغربيين على الدخول في الإسلام[1] .

---

(١) مصطفى لطفي بيلجا ـ مجلة « الفيصل » .

www.abulhasanalinadwi.org

الأمير شكيب أرسلان

١٢٨٦ ـ ١٣٦٦هـ
(١٨٦٩ ـ ١٩٤٦م)

كان الأمير شكيب أرسلان من الذين سبقوا إلى إدراك خطورة الموقف ، فتصدَّى لرد هذه المزاعم ، وإن حواشيه القوية وتعليقاته في « حاضر العالم الإسلامي وغابره » إن دلَّت على شيء فإنما تدل على حرصه على حماية الدين الإسلامي ، وتاريخه ، ودوره في إنقاذ البشرية ، وصلاحيته ، ليس للبقاء فحسب بل لقيادة العالم ، وقد قام فيه بدور عظيم ليس في الدفاع عن الإسلام بل في الهجوم على الغرب ، وصموده لمكافحة الغزو الفكري .

بيَّن أمير البيان شكيب أرسلان مواضع تدسيس أدعياء العلم في الغرب ، وكشف عن جهلهم لأصول العربية ، وأن جهلهم قد أوقعهم في أخطاء كثيرة ، فكتب يقول : فئة متحذلقة متفلسفة في كل شيء مولعة بالنقض وهدم النظريات المقررة بدون داعٍ إلى ذلك سوى الميل إلى الإطراف والإتيان بشيء جديد .

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول عن العرب المقلِّدين للغرب : « وفي الشرق متنطعون لا يعجبهم إلا تقليد هذه الفئة من الإفرنج » .

www.abulhasanalinadwi.org

مصطفى لطفي المنفلوطي

١٢٩٢ ـ ١٣٤٢هـ
(١٨٧٦ ـ ١٩٣٤م)

كان التقليد للغرب والميل إلى الحضارة الغربية ، وما كانت الحضارة الغربية تحمله معها من فساد في الأخلاق والعقيدة والاستهانة بالقيم من المواضيع التي طرقها كاتب إسلامي آخر وهو مصطفى لطفي المنفلوطي فنبه قومه لهذا الخطر فكتب يقول :

« أصبحتُ أعتقد أن مفاسد الأخلاق والمدنية الغربية شيئان متلازمان وتوأمان متلاصقان لا افتراق لأحدهما عن صاحبه إلا إذا افترقت نشوة الخمر عن مرارتها ، فكيف أتمناها لأمة هي أعز عليَّ من نفسي التي بين جنبيّ[1] .

وإنَّ الجملة الأخيرة تكشف عن مدى حب المنفلوطي لأمته التي ينتمي إليها ، وولائه لها ، وقد كان المنفلوطي أبيّاً غيوراً ، متحمِّساً للأمة الإسلامية ، وعلى رأسها الأمة

---

(١) النظرات : ج٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

العربية ، فأحدث بأفكاره وأسلوبه دوياً في عالم الأدب العربي ، وترك وراءه أثراً يُذكر بحسن بيانه وإشراق ديباجته ، وإن هذه الغيرة ، والحماسة والانتماء إلى الأمة الإسلامية ، والثورة على الحضارة الغربية قد دعت النقاد المارونيّين إلى اتهامه بالرجعي في الفكر ، والأسلوب ، وتشويه سمعته ، والتقليل من أهميته ، كما فعلوا بالنسبة للرافعي[1] .

« كان المنفلوطي بحق مربّي الجيل ، وقد خدم اللغة العربية والإسلام ، والأخلاق ، وخلق الجدية في المجتمع العربي الذي كان يخطو خطوات واسعة إلى كونه أمة تلهو وتلعب على نغمات مزمار الغرب[2]

كانت وسائل الغزو الفكري التي استخدمها الاستعمار لغسل الدماغ تقوم على إثارة الشبهات ، وعرض مشاكل حضارية بدعوى أن الإسلام والتصوُّر الدينيّ للحياة ، لا يحمل حلاً لها وأن الدين يحدث عقلية الجمود عن طريق عرض عهد الانحطاط للمسلمين والعهد الأخير ، وتدسيس التاريخ الإسلامي ، وأن الحضارة المعاصرة الحرة عن القيم والأخلاق ، حضارة سريعة الحركة تنعش الأمم ، وتحييها من

---

(١) يتضمّن كتابه « النظرات » نماذج نقدية للحضارة الغربية .

(٢) الفنون الأدبية .

www.abulhasanalinadwi.org

الموت ، وتحدث تأثيراً واسعاً ، ونالت هذه الكتابات المغرضة كل تأييدٍ من الكتّاب الذين تتلمذوا على الأساتذة الغربيين والمستشرقين الذين انتشروا في العالم الإسلامي ودعمت الحكومات القائمة الدعوة إلى الانسلاخ من خصائص الحياة الشرقية ، ومطالب الدين والأخلاق ، وإلى تقديس من تعتبرهم أوربا أبطال النهضة الأخيرة ، والاقتداء بهم

لقد كان التحدي للإسلام متنوعاً ، كان تحدياً على اللغة ، والأدب والثقافة ، والأخلاق ، والإخاء الإسلامي ، فتصدى لمواجهة هذه التحديات كتّاب إسلاميون وركّزوا اهتمامهم على مواضيع عصرهم

www.abulhasanalinadwi.org

مصطفى صادق الرافعي

١٢٩١ ـ ١٣٥٦هـ

(١٨٨٠ ـ ١٩٣٨)

كان من الكتّاب الذين عاصروا عصر ترسيخ الحضارة الغربية وتقدُّسها في أذهان العرب فكافحوا الغزو في ميدان الأدب والصحافة بجانب المنفلوطي ، مصطفى صادق الرافعي وهو شامي الأصل مصري النشأة وقد عرف عن كثب ما قام به المبشرون والكتّاب العرب النصرانيون ، وأتباعهم من غرس الشكوك في التراث العربي ، والتاريخ الإسلامي ، وأثّروا على الفكر العربي ، بتمجيد أوربا وتشويه الإسلام ، وقد كان عنيفاً في نقده للحضارة الغربية ، ونقد آراء الأدباء العرب المتفرنجين المقلدين ، فكان يرى أن الإيمان محور الحياة ولا تتطوَّر الحضارة الإنسانية ولا الحياة الوطنية إلا بالتمسك بالعقيدة الصالحة التي تربط الأمة ، والأخلاق الفاضلة بالإضافة إلى رده على الحملة على العربية والعرب والإسلام

يقول في موضع : « لا يذهبنَّ عنك أن الرجل المؤمن القويَّ الإيمان الممتلىء ثقةً ويقيناً ووفاءً وصدقاً وعزماً

www.abulhasanalinadwi.org

وإصراراً على فضيلته ، وثباتاً على ما يلقى في سبيلها ، لا يكون رجلاً كالناس ، بل هو رجل الاستقلال الذي واجبه جزء في طبيعته ، وغايته السامية لا تنفصل عنه وهو رجل صدق المبدأ ، وصدق الكلمة وصدق الأمل ، وصدق النزعة ، وهو الرجل الذي ينفجر في التاريخ ، كلما احتاجت الحياة الوطنية إلى إطلاق قنابلها » .

ويقول عن اللغة العربية وأهميتها للعرب ، « ما ذُلَّت لغة شعب إلا ذُلَّ ، ولا انحطَّت إلا كان أمره في ذهاب وإياب ، وليس في العالم أمة عزيزة الجانب تقدِّم لغة غيرها على لغة نفسها » .

ويقول عن نهضة العرب « إنها لا تقوم على أساس وحيد وهو : إذا نهض الركنان الخالدان ، الدين الإسلامي ، واللغة العربية ، وماعداهما فعسى أن لا تكون له قيمة في حكم الزمن »[1] .

كانت هذه الجهود للوقاية من غزو الحضارة الغربية ، وآدابها وإعادة الثقة في التراث العربي ، والحضارة الإسلامية ، وإعادة الأمة إلى مصادر العزَّة والكرامة ، ودعوتها إلى الأصالة والذاتية منتشرة يقوم بها أصحاب قلم من ذوي

---

(١) وحي القلم .

www.abulhasanalinadwi.org

الغيرة والكرامة ، فيهم شعراء وكتّاب ، حملوا الراية عالية ، في الوقت الذي قصر الزعماء الآخرون جهودهم على تحرير البلاد الإسلامية سياسياً أو نقل الأفكار الغربية ، ليصبغوا الأمة العربية بالصبغة الغربية فاعتبروا الفكر الغربيّ وسيطرته على الأذهان ، وما يؤدي إليه من انقلاب حضاريّ وسيلة من وسائل التقدُّم فكانوا بذلك يسعون إلى ضمان الاستعمار عملياً ، بل تقديس الاستعمار فكرياً وإن كانوا يحاربونه سياسياً .

فلما تحررت البلاد الإسلامية نتيجة لحركات التحرير قامت فيها حكومات ، كان زمامها في أيدي رجال الطبقة التي نشأت في مراكز التربية الغربية ، وتولى مقاليد الحكم أفراد كانوا غرباء بذهنهم في بلادهم فنشأ بذلك صراع فكري ، بين المفكّرين ، ليمثّلوا دورهم في سبيل الدعوة بصراحة وقوة وعزم ووضوح رؤية

www.abulhasanalinadwi.org

الإمام حسن البنا الشهيد

١٣٢٤ ـ ١٣٦٨هـ

(١٩٠٦ـ١٩٤٩)

وقد بذلت جهود منظمة للدعوة بمساعي الإمام حسن البنا رحمه الله الذي قام بجولات في مختلف أجزاء مصر ، واختار المساجد للدعوة ، وقام باللقاءات الشخصية ، ويرجع تاريخ هذا العمل المنظم إلى ١٩٢٨م ، وفي عام ١٩٣٣م دخلت هذه الحركة في ميدان الصحافة الإسلامية فصدرت جريدة الإخوان المسلمين وفي عام ١٩٣٨م صدرت مجلة النذير السياسية الأسبوعية وقد كسبت الحركة تجربة منذ إنشاءها في عام ١٩٢٨م فقرّرت الاشتراك في الكفاح السياسي والهجوم على النظم القائمة .

ويتضح هذا التحول في سياسة الدعوة بالمقال الافتتاحي الذي صدر في العدد الأول ، بقلم الإمام حسن البنا بعنوان : « أيها الإخوان تجهّزوا . جاء فيه : الإسلام عبادة ، وقيادة ودين ودولة وروحانية وعمل ، وصلاة وجهاد ، وطاعة وكَلِم ، ومصحف وسيف ، لا ينفكُّ واحد من هذين عن الآخر ، إن الله ليزع بالسلطان ما لا يزع بالقرآن .

www.abulhasanalinadwi.org

ثم يقول : أيها الإخوان أدعوكم إلى الجهاد العملي ، بعد الدعوة القولية ، والجهاد بثمن وفيه تضحيات ، وسيكون من نتائج جهادكم هذا في سبيل الله والإسلام أن يتعرض الموظفون منكم للاضطهاد ، وما فوق الاضطهاد ، وإن يتعرض الأحرار منكم للمعاكسة وأكثر من المعاكسة ، وأن يدعى المترفون المترفهون منكم إلى السجون وما هو أشق من السجون ، وسَتُبْلَون في أموالكم وأنفسكم فمن كان معنا في هذه الخطوة فليتجهز وليستعدَّ لها[1]

كان أسلوب الدعاة الذين تأثروا بشخصية الشيخ حسن البنا وحركته أسلوباً مختلفاً عن المتقدِّمين ، كان أسلوباً مستمداً من الظروف المتغيِّرة ، وكانت وسائل تأثيرهم متنوعة ، إنهم دخلوا في ميدان الصحافة والأدب والعلم بقوة وجرأة إيمانية ، بنبوغهم فيها ، وأثروا على الفكر ، واتَّسم أسلوبهم بالتحليل العلمي ، والتأثير الأدبي ، والواقعية في البحث ، فلم يكن أسلوبهم أسلوباً علمياً جافاً ولا جامداً ولا أسلوباً مائعاً خالياً من الأصالة ، وإنما كان أسلوبهم أسلوباً عربياً ، يحمل روعة البيان العربي ، وقوة الاقناع العلمي .

أنجبت مدرسة الشيخ حسن البنا كُتَّاباً ، قاموا بتحليل

---

(١) مذكرات الدعوة والداعية .

www.abulhasanalinadwi.org

الأوضاع وعرضوا الحلول الإسلامية ، بدراسة ، وبمعرفة للأوضاع .

برز في هذا الصنف عدد من الكتّاب بمؤلفاتهم المؤثّرة في مواضيع مختلفة ، في التفسير والأدب ، والنقد ، والاجتماع والسياسة ، والفن ، وإن نظرة على مؤلفاتهم تدلُّ على الشمول والتنوُّع في معالجة المسائل التي تخصُّ سائر الميادين ، للتأثير على الفكر المعاصر ، وإثارة الضمير في العالم الإسلامي ، وتحويل الاتجاه في سائر الميادين إلى الإسلام ، والعمل من أجل إعلاء كلمته ، وإقرار نظامه ، فنجد في بعضها ثورة على الأوضاع ونجد في البعض الآخر تصويراً وجدانياً وفي مؤلفات معالجة لمشاكل الحياة ومشاكل الحضارة ، بواقعية وجدِّية وعرض للتاريخ الإسلامي فأغنوا المكتبة الإسلامية ، بمؤلفات تقوم بتنشئة الأجيال القادمة وإعدادها فكرياً كنقد الحضارة الغربية ، والعودة إلى الحضارة الإسلامية ، ونبذ التبعية ، والعودة إلى الأصالة .

www.abulhasanalinadwi.org

الشهيد سيد قطب

١٣٢٤ ـ ١٣٨٧هـ
(١٩٠٣ ـ ١٩٦٦م)

يمثّل سيد قطب جيل الكتاب الذين اختاروا الأسلوب الهجومي ، والاستعلاء بإيمانه القوي أن هذا الدين ، دين الغلبة ، لأنه دين حق ، والحق يعلو ، سواء توفرت له أسباب القوّة ، أم لم تتوفر ، فإن هذه الدعوة تتغلّب على الصعاب ، فحث على الاجتهاد والعمل في سبيل إحقاق الحق يقول :

« لم تكن الدعوة في أول عهدها في وضع أقوى ولا أفضل منها الآن كانت مجهولة مستنكرة في الجاهلية ، وكانت محصورة في شعاب مكة ، مطاردة من أصحاب الجاه والسلطان فيها ، وكانت غريبة في زمانها في العالم كله وكانت تحفُّ بها إمبراطوريات ضخمة عاتية تنكر مبادئها وأهدافها ويقول :

ولكنها مع هذا كله كانت قوية ، كما هي اليوم قويّة ، وكما هي غداً قويّة . . إن عناصر القوة الحقيقية كامنة في طبيعة هذه العقيدة ذاتها ، ومن ثَمَّ فهي تملك أن تعمل في أسوأ

www.abulhasanalinadwi.org

الظروف وأشدّها حرجاً ، إنها تكمن في الحق البسيط الواضح الذي تقوم عليه ، وفي تناسقها مع الفطرة التي لا تملك أن تقاوم سلطانها طويلاً وفي قدرتها على قيادة البشرية صعداً في طريق التقدم ، وفي أية مرحلة كانت البشرية من التأخر أو التقدُّم الاقتصادي والاجتماعي والعلمي والعقلي . . كما أنها تكمن في صراحتها هذه وهي تواجه الجاهلية بكلِّ قواها المادية فلا تخرم حرفاً واحداً من أصولها ، ولا تربت على شهوات الجاهلية ، ولا تتدسس إليها تدسيساً إنما تصدع بالحقِّ صدعاً ، مع إشعار الناس بأنها خير ورحمة وبركة .

والله الذي خلق البشر يعلم طبيعة تكوينهم ومداخل قلوبهم ، ويعلم كيف تستجيب حين تصدع بالحق صدعاً في صراحة وقوّة ، وبلا تلعثم ولا وصوصة ؟!

إنَّ النفس البشرية فيها الاستعداد للانتقال الكامل من حياة إلى حياة ، وذلك قد يكون أيسر عليها من التعديلات الجزئية في أحيان كثيرة . . والانتقال الكامل من نظام حياة إلى نظام آخر أعلى منه وأكمل وأنظف ، انتقال له ما يبرِّره في منطق النفس . . ولكن ما الذي يبرر الانتقال من نظام الجاهلية إلى نظام الإسلام ، إذا كان النظام الإسلامي لا يزيد إلا تغييراً طفيفاً هنا ، وتعديلاً طفيفاً هناك ؟ إن البقاء على النظام المألوف أقرب إلى المنطق ، لأنه على الأقل نظام قائم ، قابل

www.abulhasanalinadwi.org

للإصلاح والتعديل ، فلا ضرورة لطرحه ، والانتقال إلى نظام غير قائم ولا مطبَّق ، ما دام أنه شبيه به في معظم خصائصه » ! .

ويدعو سيد قطب إلى هجر الأسلوب الدفاعي ، ويحثُّ على الاعتزاز بالإسلام وكشف القناع عن الحضارة الأوروبيَّة المزعومة ، فيقول :

« وليس في إسلامنا ما نخجل منه ، وما نضطر للدفاع عنه ، وليس فيه ما نتدسس به للناس تدسساً ، أو ما نتلعثم في الجهر به على حقيقته ، إن الهزيمة الروحية أمام الغرب وأمام الشرق وأمام أوضاع الجاهلية هنا وهناك هي التي تجعل بعض الناس . . « المسلمين » ! . . يتلمَّس للإسلام موافقات جزئية من النظم البشرية ، أو يتلمَّس من أعمال « الحضارة » الجاهلية ما يسند به أعمال الإسلام وقضاءه في بعض الأمور .

إنَّه إذا كان هناك من يحتاج للدفاع والتبرير والاعتذار فليس هو الذي يقدِّم الإسلام للناس ، وإنما هو ذاك الذي يحيا في هذه الجاهلية المهلهلة المليئة بالمتناقضات وبالنقائص والعيوب ، ويريد أن يتلمَّس المبررات للجاهلية ، وهؤلاء هم الذين يهاجمون الإسلام ويلجئون بعض محبِّيه الذين يجهلون حقيقته إلى الدفاع عنه ، كأنه متَّهم مضطر للدفاع عن نفسه في قفص الاتهام » .

www.abulhasanalinadwi.org

ويصف سيد قطب الاعتذاريين الذين بهرتهم الحضارة الغربية ، فيحاولون التوفيق بين الإسلام والحضارة الغربية وهي العقلية التي سادت على الكتاب الإسلاميين في أوائل القرن العشرين .

« بعض هؤلاء كانوا يواجهوننا ـ نحن القلائل المنتسبين إلى الإسلام ـ في أمريكا في السنوات التي قضيتها هناك ـ وكان بعضنا يتّخذ موقف الدفاع والتبرير . .

وكنتُ على العكس اتخذ موقف المهاجم للجاهلية الغربية . سواء في معتقداتها الدينية المهلهلة ، أو في أوضاعها الاجتماعية والاقتصادية والأخلاقية المؤذية . . هذه التصورات عن الأقانيم وعن الخطيئة وعن النداء ، وهي لا تستقيم في عقلٍ وضمير . . وهذه الرأسمالية باحتكارها وربَاها وما فيه من بشاعةٍ كالحة . . وهذه الفردية الأثرة التي ينعدم معها التكافل إلا تحت مطارق القانون . . وهذا التصور المادي التافه الجاف للحياة وحرية البهائم التي يسمونها « حرية الاختلاط » . . وسوق الرقيق التي يسمونها « حرية المرأة » . . والسخف والحرج والتكلف المضاد لواقع الحياة في نظم الزواج والطلاق ، والتفريق العنصري الحادّ الخبيث . . . ثم ما في الإسلام من منطق وسمو إنسانية وبشاشة ، وتطلُّع إلى آفاق تطلع البشرية دونها ولا تبلغها ، ومن مواجهة الواقع في الوقت

www.abulhasanalinadwi.org

ذاته ومعالجته معالجة ، تقوم على قواعد الفطرة الإنسانية السليمة

وكانت هذه حقائق نواجهها في واقع الحياة الغربية . . وهي حقائق كانت تخجل أصحابها حين تعرض في ضوء الإسلام . . ولكن ناساً ـ يَدَّعُون الإسلام ـ ينهزمون أمام ذلك التَّتن الذي تعيش فيه الجاهلية حين يتلمسون للإسلام مشابهات في هذا الركام المضطرب البائس في الغرب . وفي تلك الشناعة المادية البشعة في الشرق أيضاً ! »

وفي خاتمة المطاف يدعو سيد قطب إلى الاستعلاء في « معالم في الطريق » وينشد ثورة المؤمن الأبي الغيور واثقاً بنصر الله وهو أسلوب ينشأ طبيعياً في ظروف القهر والاضطهاد التي سادت في العالم الإسلامي بسبب التبعية لأوربا السياسية والفكرية

« الاستعلاء على قوى الأرض الحائدة من منهج الإيمان ، وعلى قيم الأرض التي لم تنبثق من أصل الإيمان وعلى تقاليد الأرض التي يضعها الإيمان ، وعلى قوانين الأرض التي لم يشرعها الإيمان ، وعلى أوضاع الأرض التي لم ينشئها الإيمان

الاستعلاء . مع ضعف القوة ، وقلّة العدد ، وفقر المال ، كالاستعلاء مع القوة والكثرة والغنى على السواء .

www.abulhasanalinadwi.org

الاستعلاء الذي لا يتهاوى أمام قوّة باغية ، ولا عرف اجتماعيّ ولا تشريع باطل ، ولا وضع مقبول عند الناس ولا سند له من الإيمان

وليست حالة التماسك والثبات في الجهاد إلا حالة واحدة من حالات الاستعلاء التي يشملها هذا التوجيه الإلهي

الاستعلاء بالإيمان ليس مجرد عزمةٍ مفردةٍ ، ولا نخوةٍ دافعةٍ ، ولا حماسةٍ فائرة ، إنما هو الاستعلاء القائم على الحق الثابت المركوز في طبيعة الوجود ، الحق الباقي وراء منطق القوة ، وتصور البيئة واصطلاح المجتمع ، وتعارف الناس ، لأنه موصول بالله الحي الذي لا يموت .

إنَّ للمجتمع منطقه السائد وعرفه العام وضغطه الساحق ووزنه الثقيل . . على من ليس يحتمى منه بركن ركين ، وعلى من يواجهه بلا سند متين . . وللتصورات السائدة والأفكار الشائعة إيحاؤهما الذي يصعب التخلُّص منه بغير الاستقرار على حقيقة تصغر في ظلها تلك التصورات والأفكار ، والاستعداد من مصدر أعلى من مصدرهما ، وأكبر وأقوى .

والذي يقف في وجه المجتمع ، ومنطقه السائد ، وعرفه العام وقيمه واعتباراته ، وأفكاره وتصوراته وانحرافاته ونزواته . . يشعر بالغربة ويشعر بالوهن ، ما لم يكن يستند

www.abulhasanalinadwi.org

إلى سند أقوى من الناس ، وأثبت من الأرض وأكرم من الحياة .

والله لا يترك المؤمن وحيداً يواجه الضعف ، وينوء به الثقل ، ويهدده الوهن والحزن ومن ثم يجيء هذا التوجيه : ﴿ وَلَا تَهِنُوا وَلَا تَحْزَنُوا وَأَنتُمُ الْأَعْلَوْنَ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ ﴾ [آل عمران : ١٣٩] .

وبجانب هذا الأسلوب الهجومي يبدو سيد قطب في كثير من مؤلفاته كاتباً يختار الأسلوب التحليلي وأسلوب الجدل فيعالج مشاكل العصر وأسباب تخلُّف المسلمين ، ويقدِّم الحلول[١] .

---

(١) أثرى سيدُ قطب الشهيد المكتبة الإسلامية بكتب قيمة في معظم مواضيع العصر ، ويدافع عن الإسلام حيناً ، ويهاجم الحضارة الغربية حيناً آخر ويتناول مشكلات العصر ، ويشرحها ويبحث عن حلولها في الإسلام وهي كتب متداولة

www.abulhasanalinadwi.org

الكاتب الكبير محب الدين الخطيب

١٣٠٤هـ - ١٣٨٩

١٨٨٦ - ١٩٦٩م

إنه كاتب من الطراز الأول لا يقل عن أدباء الطليعة الذين يتردد ذكرهم في كل مجال، وكتاباته في مجلات الزهراء والفتح والأزهر والمؤيد و الأهرام خير شاهد على ذلك.

شارك محب الدين الخطيب في إنشاء "جمعية الشبان المسلمين" بالقاهرة التي شارك في تأسيسها محمد الخضر حسين، وأحمد تيمور، وعبد العزيز شاويش، ومحمد أحمد الغمراوي، وعبد الوهاب النجار، وحسن البنا، كما كانت بينه وبين الأمير شكيب أرسلان رسائل متبادلة تزيد على ألف رسالة، ولا غرابة في ذلك فقد كان الاثنان من رواد الإصلاح الإسلامي المهمومين بهم أمتهم.

و أصدر مجلة "الزهراء" التي كانت تعنى بالبحث العلمي والنقد الموضوعي للأفكار الوافدة وما كانت يروجه المتغربون وأدعياء الثقافة والأدب والسائرون في ركاب المستشرقين والمستعمرين الصليبيين.

www.abulhasanalinadwi.org

ثم أصدر مجلة "الفتح" الغراء، وكانت هذه المجلة مدرسة أكثر من صحيفة مطبوعة، لأنها كونت جيلاً من كتاب الفكرة الإسلامية، وبرزت على صفحاتها أقلام الصفوة من أبناء الإسلام، في الهند، وتركيا، وإندونيسيا، وإيران، وأفغانستان، وأدت المجلة دوراً كبيراً في إذكاء الروح الإسلامي وإلهاب المشاعر، ومن موضوعاتها التفسير والحديث وسير الصحابة ومشاهير الدعاة، والإجابة عن الأسئلة الدينية المرتبطة بمسائل الفقه الإسلامي، كما امتدت "الفتح" بموضوعاتها إلى تحليل مشاكل العالم الإسلامي الذي كان يرزح تحت وطأة الاستعمار الغربي، فلعبت المجلة دوراً لائقاً في الدفاع عن الإسلام والمسلمين ومعالجة قضايا العروبة والإسلام والحفاظ على الدين واللغة العربية، ونشر الثقافة الإسلامية.

وقد أصدر بالتعاون مع حسن البنا وطنطاوي جوهري مجلة "الإخوان المسلمون" الأسبوعية سنة ١٩٣٣م، كما كان يكتب في مجلة "الشهاب" الشهرية التي يصدرها الإمام حسن البنا، وتولى رئاسة تحرير مجلة "الأزهر" وكانت افتتاحياته في هذه المجلة زاداً للمعنيين بالفكرة الإسلامية.

وقد كتب العلامة السيد أبو الحسن علي الحسني

www.abulhasanalinadwi.org

الندوي في كلمة له انطباعية حول وفاة محب الدين الخطيب:

" أنا اعتبر نفسي من تلاميذ مدرسة "الفتح" الغراء التي أنشأها الأستاذ محب الدين الخطيب، وكانت في طليعة الصحف والمجلات الإسلامية والغيرة الدينية في العقد الرابع من هذا القرن الميلادي (المنصرم) وكنت وزميلي الكبير المرحوم الأستاذ مسعود الندوي من الذين يظلون متشوقين إلى صدور العدد الجديد من الصحيفة فيتلقفونه بالأيدي تلقفا ويقرأونه بنهم، وقد كان لنا الشرف ونحن في ريعان الشباب بالكتابة في الفتح، وقد نشرت للأستاذ مسعود الندوي عدة مقالات تباعاً، وكان من كتابها المعدودين في الهند ونشرت لي أكثر من مقالة، وقد كان أستاذنا الدكتور تقي الدين الهلالي وأخي الأكبر الدكتور عبد العلي الحسني من المعجبين بها والمشتركين فيها، وقد كان لما كنا نقرأ للأستاذ محب الدين الخطيب تأثير في كتاباتنا وأسلوبنا، وكانت كتاباته في مجلة "الأزهر" تشهد بفكر إسلامي حصيف وإيمان لا تشوبه نزعة قومية، ودعوة إلى الإسلام الحقيقي لا تشوبها نعرة جاهلية "[1].

وكتب عنه المفكر الإسلامي أنور الجندي "ترك محب

---

[1]- مجلة البعث الإسلامي السنة ١٤، العدد:٧، مارس ١٩٧٠م.

www.abulhasanalinadwi.org

الدين الخطيب رصيداً فكرياً ضخماً، وأضاف إضافات بناءة، وقدم إجابات عميقة وزوايا جديدة لمفاهيم الثقافة الإسلامية وقيمها الأساسية".

وقد كتب الأستاذ علي الطنطاوي عن دور مجلة "الفتح" في إيقاظ العاطفة الإسلامية فيقول:

"مجلة "الفتح" كان لها عمل عظيم في تنبيه المسلمين، وإيقاظهم وإرشادهم والتمهيد للصحوة الإسلامية..... وكانت "الفتح" أوعى مجلة إسلامية، توجه حتى في عناوين الأخبار العامة التي تنقلها من وكالات الأخبار فتحول بالعنوان مغزى الخبر مما تريده الوكالة إلى ما يوافق خطة "الفتح" ويريده الإسلام، وكان لها مواقف مشهودة في موقف عظيم في التنبيه إلى خطر الظهير البربري"[٢]

ويقول عنه الدكتور محمد رجب البيومي في كتابه"النهضة الإسلامية في سير أعلامها" فيقول:

"أوجز ما يقال عن محب الدين الخطيب إنه كان أمة في واحد، لأن أكثر حركات التحرر الإسلامي في الأمة العربية عرفت منه الظهير المؤيد، والمقترح المصمم، ولكن طبيعة الجندي في نفسه جعلته لا يطمح إلى منزلة القائد الرسمية، أما في الواقع العملي فهو قائد حقاً، وأنت حين

٢- المذكرات المجلد الأول ٢٥٩- ٢٦٠ دار المنار جدة، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

www.abulhasanalinadwi.org

تعرض أسماء شكري القوتلي، والحسين بن علي وشكيب أرسلان، وصالح حرب، ونوري السعيد، ولطفي الحفار، وكرد علي، وفارس الخوري، وحسن البنا وعبد الرحمن عزام، وعزيز المصري تجد ارتباطاً قوياً بينهم، وبين محب الدين الخطيب في كثير من المواقف الحاسمة على مدى نصف قرن متطاول"

فلقد لعب محب الدين الخطيب دوراً قيادياً في فضح دسائس الباطنية وغلاة الرافضة، ومكائد الصهيونية، وسموم الاستعمار، وحقد المجوسية، وكان يكرر في أحاديثه وكتاباته أن كل أنواع الهدم والتخريب والفساد والتدمير والكذب والتزوير الذي أصاب المسلمين في القديم والحديث، سواء على مستوى اغتيال الخلفاء أو الإسرائيليات في التفسير والحديث أو الطعن في الصحابة والتابعين أو الدس في السيرة والتاريخ إنما هو من صنع اليهود والمجوس لأنهم وراء كل ذلك وهم الذين أنشأوا الحركات الهدامة والجمعيات السرية والفرق الباطنية.

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ علي الطنطاوي

١٣٢٧ ـ ١٤٢٠هـ
(١٩٠٩ ـ ١٩٩٩م)

نشأ في هذا العهد عدد من الكتّاب المفكِّرين الذين درسوا مشاكل المسلمين ، وعرفوا الحضارة الغربيَّة فقارنوا بين محاسنها ومساويها ، وعالجوا أمراض المسلمين ، وفي مقدمتهم الكاتب الإسلامي الكبير الشيخ علي الطنطاوي[١] ، فيقول في إحدى مقالاته :

« إنَّ الدين على ما يفهمه العلماء من أهل أوربا هو الذي ينظم علاقة الإنسان بالله ، وبما خلق الله من المخلوقات المغيبات وراء المادة ، وبالعالم الآخر ، فلا علاقة له بالحياة السياسية ولا الأوضاع الاجتماعية ولا بالقوانين والنظم ولا يصح أن تبنى عليه الجامعة القومية

---

(١) للشيخ علي الطنطاوي مؤلفاتٌ كثيرةٌ في الأدب ، والنقد ، والتاريخ والتربية الإسلامية كان لها تأثير كثير على الفكر الإسلامي وله مجموعات مقالات أدبية إسلامية لـ« صُوَر وخواطر » و« ورجال من التاريخ » و« قصص من التاريخ » و« نفحات الحرم » ، و« فصول إسلامية » .

www.abulhasanalinadwi.org

هذا ما يقرره العلماء الذين بحثوا في هذه الجامعة وطبيعتها وقيمتها وفي مقدمتهم رينان ، في محاضرته المشهورة التي ألقاها في السربون سنة ١٨٨٢م وهذا صحيح في الأديان ، ولكن ليس بصحيحٍ في الإسلام لأن الإسلام ذاته قومية ، ورابطة اجتماعية معنوية ، ليست قائمة على لغة ولا على أرض ، ولكن على ما يسميه ، أرنست رينان بالإرادة المشتركة ، ويجعله أساس الرابطة الوطنية .

فليس وطن المسلم مكة ، ولا المدينة ، ولا البلد الذي ولد فيه ، ولكن وطن المسلم المبادىء وحيثما كان أهل « لا إله إ لا الله محمد رسول الله » (ﷺ) فثمَّ وطن المسلم .

وعندي أن هذه الرابطة الإسلامية رابطة ﴿ إِنَّمَا ٱلْمُؤْمِنُونَ إِخْوَةٌ ﴾ [الحجرات : ١٠] . معجزة من أعظم معجزات الإسلام لأنه أقر منذ أربعة عشر قرناً ، المبدأ الذي اهتدى إليه العقل البشري سنة ١٨٨٢م ، وسار منذ أربعة عشر قرناً في الاتجاه الذي يسير فيه العالم اليوم ، مبدأ القوميات الذي دعا إليه الرئيس وِلْسُن بعد الحرب ، ونهضت المبادىء الفكرية والاقتصادية فانقسم العالم كما ترون إلى جبهات ثلاث ، الديمقراطية والشيوعية والفاشستية .. فكما أن الشيوعي الفرنسي أخو الشيوعي الروسي ، ولو تناءت الديار ، وتباينت

www.abulhasanalinadwi.org

اللغات واختلفت الأجناس ، فكذلك المسلم أخو المسلم ، أينما كان وكيفما كان »[1] .

ويشرح الشيخ علي الطنطاوي قيام مجتمع إسلامي ، يتحمل فيه كل فرد واجباته ، يعمل كل واحد من المسلمين في المنزلة التي وضعه الله فيها ، فإذا جعله الله عالماً لم يكتف بتدريس هذه الكتب التي قرأها على مشايخه وفهم عباراتها ، وإنما يعمد إلى مسألة فيدرسها درساً علمياً ، مستنداً إلى الكتاب والسنة ، مطلعاً على روح العصر ، وحاجاته ، غير متقيد إلا بغرض الشارع وأهداف الشريعة ، فيبين ذلك ويرشد الأمة إليه .

« وإذا كان معلماً حرص على تقويم أخلاق طلاّبه ، وتلقينهم روح العلم الصحيح ، ونشّأهم على الإسلام ، ولم يكتف بأن يعيد ما في الكتاب ، وهو جاهل به ، يستر جهله بارضاء التلاميذ ، وزيادة درجاتهم .

وإن كان مدرساً في مسجد قام بوظيفته على وجهها ، ولم يسرق المرتب بلا عمل وإن كان أديباً جعل أدبه أداة من أداة النجاح لهذه الأمة ، عاملاً من عوامل تقدُّمها ، ولم يكن أدبه جمالاً مجرداً ، لا يبالي إن دعا فيه إلى الرذيلة ، أم عمل فيه

---

(١) علي الطنطاوي ـ « فصول إسلامية » ص٤٣ .

www.abulhasanalinadwi.org

على الإلحاد وإن كان صحفياً جعل له مبدأ ، وغاية ، ولم ينحط إلى مجاراة الجماهير والتزلف إليهم ، بما يرغبون فيه من ألوان الدعارة ، وأنواع الصور ، وأشكال الأدب التافه الرخيص

وإن كان موظفاً حرص جهده على تأدية الواجب عليه أولاً ، وتسخير وظيفته ما استطاع في خدمة الناس

وإن كان هناك من يحمل قسطاً من القيادة ، فهم رجال الأدب والعلماء[1]

نقد الاستشراق والحضارة الغربية نقداً علمياً ، وعرض الحضارة الإسلامية :

يتميَّز الشيخ الطنطاوي عن غيره من الكُتَّاب بالجمع بين العلم والأدب والدين وبين الأسلوب التحليلي الناقد والأسلوب الفني المؤثر بحلاوة اللفظ والمعنى ، وقد زاد تأثير أسلوبه الفني المؤثر بحلاوة اللفظ والمعنى كما زاد تأثير أسلوبه تعلُّق قلبه بذات الرسول ﷺ ونقدم لنأخذ فكرة عن أسلوبه ما كتبه ، في تقديمه لكتاب « الطريق إلى المدينة » للشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي ، يقول فيه :

---

(١) فصول إسلامية

www.abulhasanalinadwi.org

« إذا كان الرجل يشتهي أن يرى الدار التي ولد فيها الأديب ، والبلد الذي عاش فيه الشاعر ، فيشد الرحال وينفق الأموال ليصل إليه فيستحلي في سبيل الوصول إليه مرارة التعب ، ويستهين بمشقات السفر فكيف لا يذوب قلب المسلم شوقاً إلى البلد الذي وطىء أرضه (محمد) حبيب كلِّ مسلم ، ونشق هواءه وشرب ماءه ، يمشي من حيث مشى الحبيب ، ويصلي حيثما صلى ويخرج من حيث خرج يوم ذهب إلى أحد ، يشهد مكان المعركة ، ويقف على أجداث الشهداء ، ثم يعود إلى الروضة التي حلَّت في هذه الأرض ، وهي قطعة من جنة الخلد ، ثم يقف على الغرفة التي احتوت جسده حياً ، ثم أغلقت عليه ميتاً فلا تفتح إلى يوم القيامة فيقول السلام عليك يا سيدي يا رسول الله .

إني لست أنسى ما شعرت به لما وقفت هذا الموقف أول مرة ، فمالي الآن لا أحسُّ مثل ذلك الشوق ، ولا أشعر بمثل تلك الفرحة .

ما لي أقرأ هذه الأشعار الحجازيات التي كانت تهز قلبي مثل هز الفلاح الشجرة المثمرة فتساقط من القلب العواطف والخواطر العلوية كالثمار الناضجة .

ثم يتساءل :

أمِنْ طول المقام أم من غفلة القلب ، أم أفسدتني الأيام ،

www.abulhasanalinadwi.org

أم لأننا كنا نأتي في البر نمضي على طريق المدينة الأسابيع الطوال تحدونا الأشواق ، ويحدو بنا الحنين ، وتموج في نفوسنا آلاف الخواطر ، فصرنا نأتيها في ساعتين أو ثلاث ساعات

ربحنا الوقت وخسرنا العواطف والتأملات .

لقد كدت أفقد ثقتي بنفسي ، ولكني لما قرأت كتابك يا أخي أبا الحسن (الطريق إلى المدينة) أحسست بالشوق يعود فيعتلج بنفسي فعلمت أن قلبي ما خلا من جوهر الحب ، ولكن هموم العيش وطول الألفة قد غطّيا جوهره بالغبار فأزاح كتابك عن جوهره الغبار .

وكدت أفقد ثقتي بالأدب حين لم أعد أجد عند الأدباء هذه النغمة العلوية التي غنى بها الشعراء من لدن الشريف الرضي ، إلى البرعي ، فلما قرأت كتابك وجدتها ، وجدتها في نثر هو الشعر إلا أنه بغير نظم »[1].

---

(١) الطريق إلى المدينة : ص (١٣ ـ ١٤) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور مصطفى السباعي

١٣٣٣ ـ ١٣٨٤هـ

(١٩١٥ ـ ١٩٦٤م)

شاع الوعي الإسلامي في هذا العصر ، فلم تعدِ الدعوة إلى الإسلام غريبة ، كما كانت في أوائل القرن العشرين التي كان الإسلام فيها في قفص الإتهام بسبب التضليل والتشويه الذي قام به المستعمرون وأعوانهم من المستشرقين وذلك بفضل مكتبة ضخمة نشأت في كل موضوع ، عالج بها الكتّاب الإسلاميون الشكوك والشبهات حول الإسلام بأسلوب مؤثر علميٍّ رزين ، ومنطق معاصر ، وكانت معالجتهم لمشاكل العصر والمسائل التي أثارها الكتّاب الغربيون ومن اغتر بكتاباتهم من المسلمين معالجة تتسم بالدقة والمعرفة التامة ، والتعبير المقنِع .

كان في مقدمة من كشف زيغ المستشرقين وتصدى للكتّاب المسلمين المتجددين ، الذين وقعوا في الفخ الذي نصبه المستشرقون وخدعوا بأسلوبهم العلمي المزعوم ، الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ الذي بذل جهداً جباراً في هذا

www.abulhasanalinadwi.org

المجال بمؤلفاته ، ومقالاته في مجلة « حضارة الإسلام »

يقول في كتابه القيم « السنَّة ومكانتها في التشريع الإسلامي » « من المؤسف أن يسير وراء أعداء الإسلام في الحاضر فئة ممن لا نشكُّ في صدق إسلامهم من العلماء والكتَّاب ولكنهم منخدعون بمظهر التحقيق العلمي الكاذب الذي يلبسه هؤلاء الأعداء من المستشرقين ، والمؤرخين الغربيِّين عن حقيقة أهدافهم ومقاصدهم ، فإذا بهم ـ وهم مسلمون ـ ينتهون إلى الغاية التي يسعى إليها أولئك ـ وهم يهود أو مسيحيون أو استعماريون ـ من إذاعة الشك والريبة في الإسلام » .

ويقول في موضع آخر عن المستشرقين ، « أكثر الذين يشتغلون منهم بهذه الدراسات في رجال الدين الذين يعنون بتحريف الإسلام وتشويه جماله أو من رجال الاستعمار الذين يعنون ببلبلة بلاد الإسلام في ثقافتها وتشويه حضارتها في أذهان المسلمين تتَّسم بحوثهم بالظواهر الآتية :

١ ـ سوء الظن والفهم لكل ما يتَّصل بالإسلام في أهدافه ومقاصده .

٢ ـ سوء الظن برجال المسلمين وعلمائهم وعظمائهم .

٣ ـ تصوير المجتمع الإسلامي في مختلف العصور

www.abulhasanalinadwi.org

وخاصة في العصر الأول بمجتمع متفكّك .

٤ ـ تصوير الحضارة الإسْلامية دون الواقع بكثير تهويناً لشأنها واحتقاراً لآثارها .

٥ ـ الجهل بطبيعة المجتمع الإسلامي على حقيقته ، والحكم عليه من خلال ما يعرفه هؤلاء المستشرقون في أخلاق شعوبهم وعادات بلادهم .

٦ ـ إخضاع النفوس للفكرة التي يفرضونها حسب أهوائهم والتحكم فيما يرفضونه ويقبلونه من النصوص .

٧ ـ تحريفهم للنصوص في كثير من الأحيان تحريفاً مقصوداً وإساءتهم لفهم العبارات حين لا يجدون مجالات للتحريف .

٨ ـ تحكمهم في المصادر التي ينقلون منها ، فهم ينقلون مثلاً من كتب الأدب ما يحكمون به في تاريخ الحديث ، وفي كتاب التاريخ ما يحكمون به في تاريخ الفقه ويصحّحون ما ينقله « الدميري » في كتاب « الحيوان » ويكذّبون ما يرويه مالك رحمه الله في « الموطأ » كل ذلك انسياقاً مع الهوى وانحرافاً عن الحق[1]

ركّز الدكتور مصطفى السباعي ـ رحمه الله ـ جهده على

---

(١) السنة ومكانتها في التشريع الإسلامي : للدكتور مصطفى السباعي .

www.abulhasanalinadwi.org

كشف زيغ المستشرقين وتدسيسهم وعلى تصوير الحضارة الإسلامية والتاريخ الإسلامي تصويراً لائقاً ، وعلى الدفاع عن المصادر الإسلامية الأصيلة ، وعلى دعوة المسلمين إلى اتباع شريعتهم والاقتداء بمُثُل الإسلام وهو يؤكد أن الحضارة الإسلامية هي التي تضمن السعادة والفَلاح وألّف كتباً في عرض التاريخ الإسلامي وتمجيد الحضارة الإسلامية لخلق روح الاعتزاز بها في الجيل الجديد[1] ، وقد سار على هذا المسلك كتّاب إسلاميون آخرون أيضاً وجهودهم تشكر ، منهم الأستاذ محمد قطب ، والأستاذ محمد المبارك والأستاذ محمد الغزالي ، وغيرهم من الكتّاب .

ويتصدَّر هذه الطائفة أيضاً الكاتب الإسلامي الكبير مالك بن نبي (١٩٠٥ ـ ١٩٧٣م) الذي كان له منهج فكري خاص في معالجة مشكلات العصر ، ومواجهة الغزو الفكري ، فقد اختار أسلوباً علمياً للدعوة ، بحكم مهنته فقد كان مهندساً ميكانيكياً ، ولكن معظم مؤلفاته بالفرنسية ترجم عدد منها وكان لكتاباته تأثير على الفكر الإسلامي المعاصر .

إن هذه الصحوة الإسلامية التي نشهدها ترجع إلى حد كبير إلى جهود أمثال هؤلاء الكتّاب الإسلاميين الذين قاموا

---

(١) اقرأ « من روائع حضارتنا » (١٩٦٠م) .

www.abulhasanalinadwi.org

بتوعية المسلمين ، وعالجوا مشاكلهم ، وأتحفوا المكتبة الإسلامية في كل موضوع من المواضيع العلميَّة والأدبيَّة والفنيَّة ، وألَّفوا في سائر فنون الأدب ، كالقصة ، والرواية ، والمسرحية ، والشعر ، كما ألَّفوا في النفس والاجتماع والاقتصاد ، والتاريخ والنقد ، بالمنظور الإسلامي[1]

وأصدروا كذلك قصص البطولات التاريخية والمعاصرة[2]

وقد لعبت أيضاً الصحافة الإسلامية في هذه الفترة دوراً مهماً في التوعية الإسلامية رغم ضآلة وسائلها والضغوط السياسية ، فنشرت بحوثاً قيمةً ومواداً أدبية هادفة ، ودراسات

---

(١) في مقدمتها كُتب الأستاذ محمد قطب ، والأستاذ محمد البهي والدكتور يوسف القرضاوي والدكتور محمود أبو السعود . والدكتور عمر فروخ ، والأستاذ أنور الجندي ، والدكتور عماد الدين خليل ، وعدد كبير من الكتَّاب المسلمين ومن الكتَّاب بالانجليزية محمد أسد ، والكاتبة المهتدية مريم جميلة ، فقد كان لكتاباتهما أثر عميق على الفكر الإسلامي ، وضربة قاسية على الحضارة الغربية ونقلت معظم تآليفهما إلى العربية .

(٢) تذكر منها سلسلة كتب اللواء الركن محمود شيت خطاب ، وسلسلة الكتب التي صدرت بقلم وتحت إشراف الدكتور عبد الرحمن رأفت الباشا ، والشيخ عبد العزيز الرفاعي ، والأستاذ وليد الأعظمي ، والأستاذ عمر بهاء الأميري ، والشيخ محمد المجذوب والدكتور نجيب الكيلاني ، نظماً ونثراً .

www.abulhasanalinadwi.org

تتّسم بصدق التعبير والمسؤولية ، وكافحت الأقلامَ المسعورةَ بجراءةٍ ، وصراحة وصدقٍ ، بأسلوب مدعَّم بالمادة العلمية ، والروعة البيانية .

ودخلنا بفضل هذه الجهود القيمة والحركة العلمية والأدبية ، والدعويّة والتربوية في مرحلة متقدِّمة للوعي الذاتي ، نشعر فيها باعتزاز بتراثنا ، وتاريخنا ، وعلومنا وبحضارتنا وقادتنا ، ونؤمن بأننا ننتمي إلى خير أمة ، وسنسعد بهذه المكانة العالية إذا ثبتنا على قواعدنا ، وسرنا في ضوء تعاليم ديننا ، بثقة ويقين ، ونفضنا عنا الغبار الذي عكَّر الجوَّ مدَّة من الزمن بأقدام المستعمرين ، وخرجنا من حالة الشك والتردُّد والخواء التي فرضتها علينا أقلام المستشرقين .

وقد كان للكتّاب بالعربية في الهند وعلى رأسهم سماحة الشيخ أبي الحسن علي الحسني الندوي دور رائد في توجيه الفكر الإسلامي في العالم وإنعاشه ، بمكافحة الغزو الفكري ، وعرض الحضارة الإسلامية ، وتصوير الحياة الإسلامية وتحليلها ، والدعوة إلى الإسلام من جديد ، وكان لكتاباتهم صدى عميق في سائر أوساط العلم والأدب في العالم الإسلامي ، وخاصَّة العالم العربي . لأنهم اختاروا اللغة العربية كوسيلة للتعبير ، واختاروا العالم العربيّ للتأثير على الفكر الإسلامي ، لأنه يحمل مكانة مرموقة ، ويشكِّل مركزاً

www.abulhasanalinadwi.org

حساساً ، باعتبارات مختلفة ، ولا يكتمل تاريخ أدب الصحوة الإسلامية بدون ذكر مساهمة الهند في مجال الدعوة ، والأدب الإسلامي .

* * *

www.abulhasanalinadwi.org

مساهمة الهند في نشر الفكر الإسلامي

أسهمت الهند في الدعوة الإسلامية ، وصد الغارة العلميَّة والسياسية على الإسلام والمسلمين إسهاماً كان له تأثير جوهري على الاتجاه الفكري ليس في الهند فحسب بل في العالم كله ، فقد أنجبت الهند أفذاذاً من الكتَّاب ، والعلماء والباحثين والشعراء والأدباء ، والساسة الذين تصدَّوْا للمعركة الأدبية والعلمية ، وردوا العدوان على الإسلام الذي كان يصحب الحكم الأجنبي في الهند وأقطار العالم الإسلامي الأخرى في كل عصرٍ من عصور الاحتلال الغربي ، وألف هؤلاء الكتَّاب كتباً تمتاز بأسلوبها العصري وتأثيرها الأدبي والفكري في الرد على مطاعن المستشرقين والمبشِّرين الذين انبثوا في أقطار العالم كله للتنصير أو للاستعباد الفكري ، أو على الأقل لِبَثّ الردَّة الفكرية في المسلمين وخلق تقديس الغرب وقادته في قلوب الجيل الجديد ، فدافع علماء الهند والأدباء عن الإسلام وردوا مطاعن أعداء الإسلام ، وكشفوا زيف الحضارة الغربية ، وقد كان الدكتور محمد إقبال ، وأكبر إله أبادي ، ومولانا محمد علي جوهر من خريجي مدارس

www.abulhasanalinadwi.org

الثقافة الغربية في مقدّمة الذين ثاروا عليها وسخّروا الأدب للدفاع عن الحضارة الإسلامية وللهجوم على الغرب ، وكشف العلامة شبلي النعماني والعلامة السيد سليمان الندوي زيف « الموضوعية » المزعومة للمستشرقين ، واستهدف الأستاذ عبد الماجد الدّرْيابادي كذلك الحضارة الغربية بالنقد العلمي حيناً ، وبالتكذيب والتبكيت حيناً آخر في أدبه وصحافته ، وقاد هؤلاء الكتّاب حملة الدفاع عن الإسلام والهجوم على أعدائه علمياً وأدبياً ، وعكفوا على إعادة الثقة في الإسلام وصلاحيته للقيادة ، ونوّهوا بتاريخه المجيد

www.abulhasanalinadwi.org

الأستاذ أبو الأعلى المودودي

١٢٩٩ ـ ١٣٢١هـ

(١٩٠٣ ـ ١٩٧٩م)

وفي العهد الأخير كان لكتابات الأستاذ المودودي تأثير كبير على الفكر الإسلامي في الرد على مطاعن أعداء الإسلام العلمية والأدبية وشرح الإسلام شرحاً عصرياً وتحليل المفاهيم الغربية في ضوء الفكر الإسلامي ، والتوفيق بين تعاليم الإسلام ومتطلَّبات العصر ، وقد كان لكتابات الأستاذ المودودي تأثير عالمي رغم أنه ألف في اللغة الأردية كأدباء الهند الآخرين ، ونقلت مؤلفاته إلى لغات مختلفة ، فانتشرت في سائر أنحاء العالم الإسلامي ، وخلفت تأثيراً قوياً على الفكر الإسلامي ، وقد اتحف الأستاذ المودودي المكتبة الإسلامية بمؤلفات قيِّمة مؤثِّرة في شرح الإسلام شرحاً عصرياً ، وفي حل مشاكل العصر والعاطفة الإسلامية ، ويشير إلى المخرج من المأزق الذي وقع ، والهجوم على الحضارة الغربية فصارت كتبه مرجعاً للدعاة والكتَّاب الإسلاميين وتأثر بكتبه المترجمة إلى اللغة العربية عدد من كبار الكتَّاب الإسلاميين بالعربية وتبنَّوا أفكاره وأسلوبه .

www.abulhasanalinadwi.org

اختار الأستاذ المودودي اللغة الأردية لدعوته واختار الهند كمجال عمل لدعوته ، ولعله أدرك بعد فترة أهمية البلاد العربية فرغب في أن تترجم مؤلفاته إلى العربية ، وامتاز الأستاذ المودودي بأسلوبه العلمي التحليلي الكلامي الذي أثر على الفكر وقد نشأ بكتاباته علم كلام جديد ، ولا شك أنه كان عاملاً جوهرياً في إقناع العقول ورد الخصوم وتيسير مهمة الدعوة إلى الإسلام ، وكان له تأثير قوي في دفع الحركة الإسلامية وتمكينها من التصدي للنظم القائمة ، وقد تناول في بحوثه مشاكل العصر ، وعرض الحلول الإسلامية في ضوء المصطلحات السياسية المعاصرة والمفاهيم العصرية فتأثر به الكتاب ومنهم الكتّاب العرب إلا أن تأثيره غير مباشر على الفكر العربي ، والأدب العربي ، فقد استمد أدب الصحوة الإسلامية الفكر والمعاني من مؤلفاته وفكره ، وظهر تأثيره في كتابات عدد من الكتّاب .

www.abulhasanalinadwi.org

الدكتور محمد إقبال

١٢٨٩ ـ ١٣٥٦هـ

(١٨٧٧ ـ ١٩٣٨م)

درس مولانا محمد علي جوهر والدكتور محمد إقبال ، والأستاذ أبو الأعلى المودودي ، الحضارة الغربية ودرسوا مشاكل العصر وعرفوا محاسن الحضارة المعاصرة ومساوئها حلْوَها ومرَّها ، وحلَّلوها تحليلاً علمياً ، فتركوا تأثيراً على الفكر الإسلامي المعاصر ولكن العالم العربي لم يطلع على أفكار هؤلاء القادة والمفكرين إلا بعد مدة من الزمن ، بعدما نقلت أفكارهم إلى اللغة العربية ، وكانت الضربة الأولى على الحضارة الغربية من الدكتور محمد إقبال الذي كان أشدهم بأساً ، وأكثرهم حماسة لأنه لم يكن مدافعاً ، أو ناقداً سلبياً للحضارة الغربية ، أو موفقاً بين الإسلام والحضارة الغربية ، وإنما كان داعياً إلى حضارة الإسلام العريقة ، وكان ينوح على المجد التليد للأمة الإسلامية ويشكو بؤسها وشقاءها وبطش أوربا ، وكان يحلل أسباب الانحطاط ، ويدعو إلى إنعاش روح الإيمان في المسلمين في شعر قوي مؤثِّر ، وقد جمع

www.abulhasanalinadwi.org

إقبال بين الفكر والعقل والعاطفة والقلب والعلم الصحيح ، فكان يدعو إلى عقل الغزالي والرازي وقلب الرومي ، وأكثر من ذلك كان هائماً بذات الرسول ﷺ وأصحابه البررة وأبطال الإسلام فألهب الضمائر وأشعل القلوب بذكرهم والدعوة إلى الاقتداء بهم ، وبعث روح الاستعلاء والاعتزاز بنعمة الإسلام في قلوب المسلمين ، وأظهر خواء الحضارة الغربية وأثبت زيفها وثبّت الهمم ، يقول وهو يحدد موقف المسلم إزاء الحياة المعاصرة ، وكان لحديثه عن كل ذلك في الشعر لون جديد لا يوجد له النظير في اللغة الأردية وفي اللغات المعاصرة ، يقول ما معناه :

« إنَّ المسلم لم يخلق ليندفع مع التيار ، ويساير الركب البشري حيث اتجه وسار ، بل خلق ليوجه العالم والمجتمع والمدنية ويفرض على البشرية اتجاهه ويملي عليها إرادته ، لأنه صاحب الرسالة ، وصاحبُ العلم واليقين ، ولأنه المسؤول عن هذا العالم وسيره واتجاهه ، فليس مقامه مقام التقليد والاتباع ، إن مقامه مقام الإمامة والقيادة ومقام الإرشاد والتوجيه ومقام الآمر والناهي ، وإذا تنكَّر له الزمان وعصاه المجتمع وانحرف عن الجادة لم يكن له أن يستسلم ويخضع ويضع أوزاره ، ويسالم الدهر ، بل عليه أن يثور عليه وينازله ، ويظل في صراع وعراكٍ حتى يقضي الله في أمره .

www.abulhasanalinadwi.org

إنَّ الخضوع والاستكانة للأحوال القاسرة ، والأوضاع القاهرة ، والاعتذار بالقضاء والقدر من شأن الضعفاء والأقزام . أما المؤمن القوي فهو بنفسه قضاء الله الغالب وقدره الذي لا يردّ[1] » .

كان الدكتور إقبال معتزاً بتراث الإسلام وحضارته وتاريخه وما خلده أعلام الإسلام من علوم ، وما أبدعوا من فنون ، وروائع الفكر ، واثق الصلة بذات الرسول ـ ﷺ ـ ومن اهتدى بهديه من الصحابة الكرام ، ومتبعيهم من الدعاة والأولياء والسلاطين والعلماء ، وكان ينظر إلى التاريخ الإسلامي نظرة احترام وتمجيد لا استهانة ونقد ، كما فعله الكتّاب الآخرون ، ولم يكن يدعو إلى تقليد الغرب ، بل كان يدعو إلى إحياء التاريخ الإسلامي ، ويمجِّد دور الأوائل من حملة الإسلام ، ويتغنى بما فعله الأوائل ، ومع ذلك كان يدعو إلى الاقتباس من العلوم العصرية ما يلائم طبيعة هذه الأمة ، والنبوغ فيها ، ويدَّعي أن هذه الأمة تحمل مؤهلات كبرى للقيادة . ويصف المؤمن بأنه صقر لا يجثم على فروع الأشجار العادية ، وإنما يأوي إلى أوكار في الجبال ، ويكشف إقبال مكايد الغرب وينبِّه

---

(١) راجع « روائع إقبال » للعلامة أبي الحسن الندوي ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

عن الحبائل التي نصبها ليصطاد بها هذا الصقر ، ويحول هذا العملاق قزماً ، أو يقضي على الروح التي تنعشه

موقف الأفغاني وتلامذته ، والدكتور محمد إقبال بإزاء الغرب وبناء مجد الإسلام :

كان الأفغاني وتلامذته ـ رغم كفاحهم ضد الغرب ـ مأخوذين بتقدُّم أوربا في العلوم والحضارة ، وقد كانوا معذورين في ذلك لأنهم عاشوا في عصر كانت شمس الغرب تسطع بقوَّتها ، فبُهِروا بها وسُحروا بمضاء سلاح الغرب ـ العلم والقوة العسكرية ـ وأخذوا بتفوُّق الغرب وخفيت عليهم مساوىء الحضارة الغربية ، أو لم تظهر لهم في ذلك العصر المبكِّر ، فدعوا إلى محاربة الغرب بسلاح الغرب وأسرفوا في دعوتهم إلى نيل العلوم الغربية ، وقبول أفكار علماء الغرب فكان منهم من حارب الغرب سياسياً ، ودعا إلى الاقتداء به ثقافياً وفكرياً ، فصاروا أداة لنشر الحضارة الغربية في البلاد الإسلامية ولم تجد هذه الدعوة مقاومة كبيرة من رجال الدين في البلاد العربية كما حدث في مصر وغيرها من البلاد العربية ، فاكتسحت الحضارة الغربية للعالم العربي وحدث إنقلاب فكريّ ، أما إقبال ، وأكبر إله آبادي ، والأستاذ عبد الماجد الدريابادي والأستاذ محمد أسد والكاتبة المهتدية مريم جميلة فإنهم ـ رغم دراستهم للعلوم الغربية ـ كانوا ثائرين

www.abulhasanalinadwi.org

على حضارة الغرب ، ولم يكونوا مخدوعين بها ، واعتبروا غلبته الفكرية والسياسية شيئاً طارئاً ، لا حقيقة دائمة فضربوا على الوتر الحساس ، وأعادوا إلى الأمة الإسلامية الثقة في ماضيها ، ورفعوا همتها ، ونفخوا فيها روح الاعتزاز والعظمة ، والتفاؤل بالارتباط الوثيق بالماضي المجيد ، فإن أيَّ دعوة مهما كانت عصريَّة منطقيةً وقوية التأثير لا تؤتي ثمارها المطلوبة إذا أعوزها الاعتزاز بالماضي ، أو كانت منقطعة عن أساسها وجذورها ، ولابد لكل إنطلاق من قاعدة .

إن الإيمان بالله ، والاقتباس من أثر الرسول ﷺ - والاعتزاز بتاريخ الإسلام ، والإيمان بسداده وصلاحيته للقيادة في هذ العصر ، وإبراز الشخصية الإسلامية ، واستعادة الأصالة والذاتية ، يشكل معالم الطريق إلى استعادة المجد للمسلمين ، وكان ذلك الضحية الكبرى في عهد الاحتلال الغربي للعالم الإسلامي ، وقد أغفله كثير من الدعاة ، وخاصة جيل المصلحين والمجدّدين ، ولا يمكن بناء صرحٍ جديد للعالم الإسلامي إلا على ذلك الأساس المتين ، وقد وقع كثير من الكتاب في خطأ مسايرة الركب الحضاري ، لأنهم أخذوا الحضارة الأوربية كحقيقة دائمة ، وآخر نظام للحياة .

www.abulhasanalinadwi.org

الشيخ أبو الحسن علي الندوي

١٣٣٣ ـ ١٤٢٠هـ
(١٩١٤ ـ ١٩٩٩م)

يمثل الجمع بين الإيمان والعمل والعلم المفكر الإسلامي الكبير الشيخ أبو الحسن علي الندوي الذي أحدث كتابه الأول « ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين » هزة في أوساط الفكر الإسلامي ، وقد ركّز على هذه النقطة بأسلوبه الممتع المؤثر الذي يحمل تأثير الأسلوب الوجداني ، فيناشد القلب ، وإقناع الأسلوب العلمي فيناشد الفكر والعقل ، ويدعو الشيخ الندوي إلى الجمع بين الماضي والحاضر وبين القلب والعقل ، فيقول وهو يذكر العالم العربي بما يحمل من أمانة ، ومسؤولية وبما يتمتع به من احترام وتقديسٍ في نظر العالم كلّه لأنه مهبط الوحي ويذكره بعهد الانقسام والتناحر الذي كان يعيش فيه قبل البعثة المحمّدية ، فألّف الرسول ﷺ بين القبائل المتناحرة وحول الخامات البشرية إلى قوة يحسب لها حسابها .

ويؤكّد الشيخ الندوي على غرس الإيمان في القلوب والاعتصام بحبل الله المتين وإحياء الروح التي بعثها النبي ﷺ فيقول :

www.abulhasanalinadwi.org

« المسلم ينظر إلى العالم العربي بغير العين التي ينظر بها الأوربي ، وبغير العين التي ينظر بها الوطني العربي ، إنه ينظر إليه كمهد الإسلام ومشرق نوره ومعقل الإنسانية ، وموضع القيادة العالمية ، ويعتقد أن سيدنا محمداً العربي هو روح العالم العربي وأساسه وعنوان مجده ، وأن العالم العربي بما فيه من موارد الثروة والقوة وبما فيه من خيرات وحسنات ، جسم بلا روح ، وخط بلا وضوح إذا انفصل ـ لا سمح الله بذلك ـ عن سيدنا رسول الله ﷺ وقطع صلته عن تعاليمه ، ودينه وأن سيدنا رسول الله ﷺ هو الذي أبرز العالم العربي للوجود ، فقد كان هذا العالم وحدات مفكَّكة ، وقبائل متناحرة ، وشعوباً مستعبدة ، ومواهب ضائعة ، وبلاداً تتسكع في الجهل والضلالات ، فكان العرب لا يحلمون بمناجزة الدولة الرومية والفارسية ، ولا يخطر ذلك منهم على بال ، ولا يصدّقون بذلك إذا قيل لهم في حال من الأحوال .

وكانت سورية التي تكوّن جزءاً مهماً من العالم العربي مستعمرة رومية تعاني الملَكِية المطلقة والحكم الجائر المستبد ، لا تعرف معنى الحرية والعدل ، وكان العراق مطيةً لشهوات الدولة الكيانية مثقلة بالضرائب المجحفة والأتاوات الفادحة ، وكانت مصر قد اتخذها الرومان ناقة حلوباً ركوباً ، يجزون صوفها ويظلمونها في علفها ، ثم إنها تعاني الاضطهاد

www.abulhasanalinadwi.org

الديني مع الاستبداد السياسي ، فما لبث هذا العالم المفكَّك المنحل ، المظلوم ، المضطهد ، أن هبت عليه نفحة من نفحات الإسلام الذي جاء به محمد ﷺ ، أدرك رسول الله في هذا العالم وهو ضائع هالك وأخذ بيده وهو ساقط متهالك ، فأحياه بإذن الله وجعل له نوراً يمشي به في الناس وعلَّمه الكتاب والحكمة وزكاه : فكان هذا العالم بعد البعثة المحمدية سفير الإسلام ، ورسول الأمن والسلام ، ورائد العلم والحكمة ، ومشعل الثقافة والحضارة .

كان غوثاً للأمم ، غيثاً للعالم ، هناك كانت الشام وكان العراق وكانت مصر ، فكان العالم العربي الذي نتحدث عنه . فلولا محمد ﷺ ، ولولا رسالته ، ولولا ملته ، لما كانت سورية ولا كان العراق ، ولا كانت مصر ، ولا كان العالم العربي ، بل ولا كانت الدنيا كما هي الآن حضارةً وعقلاً ، وديانةً وخلقاً ، فمن استغنى عن دين الإسلام من شعوب العالم العربي وحكوماته ، وولى وجهه شطر الغرب أو أيام العرب الأولى ، أو استلْهَمَ قوانين حياته أو سياسته من شرائع الغرب ودساتيره أو أسَّس حياته على العنصرية أو العروبة التي لا شأن لها بالإسلام ، ولم يرض رسول الله ﷺ قائداً ورائداً وإماماً وقدوة ، فليرد على محمد بن عبد الله ﷺ نعمته ويرجع إلى جاهليته الأولى ، حيث الحكم الروماني والإيراني وحيث

www.abulhasanalinadwi.org

الاستبداد والاستعباد ، وحيث الظلم والاضطهاد ، وحيث الجهل والضلالة ، وحيث الغفلة والبطالة وحيث العزلة عن العالم ، والخمول والجمود « فإن هذا التاريخ المجيد » وهذه الحضارة الزاهية ، وهذا الأدب الزاخر ، وهذه الدول العربية ليست إلا حسنة من حسنات محمد عليه الصلاة والسلام .

« الإسلام هو قومية العالم العربي ، ومحمد رسول الله - ﷺ - هو روح العالم العربي ، وإمامه وقائده ، والإيمان هو قوة العالم العربي التي حارب بها العالم البشري كله ، فانتصر عليه ، وهو قوّته وسلاحه اليوم كما كان بالأمس ، به يقهر أعداءه ، ويحفظ كيانه ، ويؤدي رسالته ، إن العالم العربي لا يستطيع أن يحارب الصهيونية أو الشيوعية أو عدواً آخر بالمال الذي ترضخه بريطانيا أو تتصدّق به أمريكا ، وروسيا ، أو تعطيه مقابل ما تأخذ من أرضه من الذهب الأسود ، إنما يحارب عدوه بالإيمان والقوة المعنوية ، وبالروح التي حارب بها الدولة الرومية والإمبراطورية الفارسية في ساعة واحدة ، فانتصر عليهما جميعاً ، إنه لا يستطيع أن يحارب أعداءه بقلب يحب الحياة ويكره الموت ، وبجسم يميل إلى الدعة والراحة ، وعقل يخامره الشكُّ وتتنازع فيه الأفكار والأهواء ، أو بيد مضطربة وقلبٍ متشكِّكٍ ، ضعيف الإيمان ، وقوة متخاذلة في الميدان فالمهم لأمراء العرب وزعمائهم وقادة

www.abulhasanalinadwi.org

الجامعة العربية أن يغرسوا الإيمان في الشعوب العربية ، وجماهير الأمة وأولياء الأمور ، والجيوش العربية ، والفلاحين والتجار ، وفي كل طبقة من طبقات الجمهور ، ويشعلوا فيها شعلة الجهاد في سبيل الله ، والتّوق إلى الجنة »[1]

وبحث الكاتب الإسلامي الكبير بعد تشديده على أهميَّة غرس الإيمان في القلوب ، والتحريض على الجهاد في سبيل الله ، وتحمُّل المكروه ، يحث على العناية بجوانب أخرى للنهضة الإسلامية ، وأخصها العناية بتربية الشباب وتعويدهم على تحمل المشاق ، وعلى خشونة العيش والجلادة ، ومحاربة كل ما يضعف روح الرجولة ، كما يدعو إلى محاربة الأسباب التي تحدث الاتجاه إلى تنعُّم في الحياة ، فيحث على مكافحة التبذير ، وإزالة الفوارق الاقتصادية بين مختلف طبقات الأمة ، والتخلص من أنواع الأثرة ، ويؤكد أهمية الوعي في الأمة ، فيقول : إن الأمة الإسلامية والبلاد العربية ـ مع الأسف ـ ضعيفة الوعي ، إنها ضعيفة الوعي الديني ، والوعي الاجتماعي ، وأضعف في الوعي السياسي ، وذلك ما جر عليها ويلاً عظيماً ، وشقاءً كبيراً ، وسلط عليها القيادة الزائفة ، وفضحها في كل معركة .

٣٥٦
١٠٣٩٩

(١) ماذا خسر العالم بانحطاط المسلمين ؟! : ص (٣٧٧ ـ ٣٧٨) طبع دار ابن كثير بدمشق .

مكتبة العلامة عبد الحي الحسني
دار عرفات للتأليف والترجمة

www.abulhasanalinadwi.org

ويقول : « كان فقدان الوعي السبب المباشر لاندفاع هذه الأمة إلى كل موجة ، وخضوعها لكل متسلط ، وسكوتها على كل فظيعة ، وتحملها لكلِّ ضيمٍ »

ويدعو الكاتب الإسلامي الكبير على استقلال البلاد العربية في تعليمها ومناهج تربيتها وتجارتها وماليتها ، ويؤكد أن العالم العربي معقد الآمال بمواهبه وخصائصه ، وحسن موقعه الجغرافي ، وأهميته السياسية ، وهو يستطيع أن يتقلَّد الزعامة ، ويزاحم أوربَّة . صدر هذا الكتاب في عام ١٩٥١م قبل الثورة المصرية التي تولى جمال عبد الناصر إثرها الحكم ، وصدرت له طبعات متتابعة ، وكان لها دور كبير في توجيه الفكر الإسلامي ، ودعوته إلى الشمول والاعتدال ، وهي دعوة جامعة ، تقوم على دراسةٍ للإسلام وتاريخه ومآثره ودراسةٍ للعلوم الغربية وتجربة للحضارة الغربية ، ووضع مكاسبها ونكساتها في الميزان ، كما تميَّز الكتاب بأسلوب جامع .

ومما يدلُّ على جودة الأسلوب واتزانه ، ما كتبه الكاتب الإسلامي الشهيد سيد قطب في مقدمته للكتاب : « إن الإسلام عقيدة الاستعلاء ، من أخص خصائصها أنها تبعث في روح المؤمن بها إحساس العزة من غير كبر ، وروح الثقة في غير اغترار ، وشعور الاطمئنان في غير تواكل ، وإنها تشعر

www.abulhasanalinadwi.org

المسلمين بتبعة الإنسانية الملقاة على كواهلهم ، بتبعة الوصاية على هذه البشرية في مشارق الأرض ومغاربها ، وتبعة القيادة في هذه الأرض للقطعان الضالة وهدايتها إلى الدين القيِّم .

وهذا الكتاب الذي بين يديَّ يثير في نفس قارئه هذه المعاني كلها ، ينفث في روحه تلك الخصائص جميعاً ، ولكنه لا يعتمد في هذا على مجرد الاستثارة الوجدانية أو العصبيَّة الدينيَّة بل يتَّخذ الحقائق الموضوعية أداته ، ويعرضها على النظر والحس ، والعقل والوجدان جميعاً ويعرض الوقائع التاريخية والملابسات الحاضرة عرضاً عادلاً مستنيرا ، ويتحاكم في القضية التي يعرضها كاملة إلى الحق ، والواقع ، والمنطق والضمير ، فتبدو كلها متساندة في صفة وفي صف قضيته بلا تحمُّل ولا اعتساف في مقدمة أو نتيجة ، وتلك مزية الكتاب الأول » .

خاطب الشيخ الندوي العرب وركَّز عليهم اهتمامه لأنه كما ذكر في أقدم مؤلفاته أن العرب يحملون استعداداً روحياً ومعنوياً ، ومادياً لقيادة العالم الإسلامي ، وبالتالي لقيادة العالم أجمعه ، إذا أثيرت فيهم تلك الخصائص التي قادوا بها العالم ، ولا يغفل في ذلك الاقتباس من العلوم العصرية والوسائل الحربية ، وقد تحدَّث إلى ممثلي البلاد العربية ، يدفعه في هذا الخطاب ذلك الحرص على نهضة العرب

www.abulhasanalinadwi.org

بمواهبهم وكفاءاتهم ، فقال بعد أن استعاد دروس التاريخ الإسلامي وما أحدثه سلف هذه الأمة من انقلاب في العالم : « إن آباءكم أيها السادة المسلمون قد انتشروا في عواصم الجاهلية الأولى ومراكزها الكبرى ، يقولون « الله ابتعثنا لنخرج من شاء من عبادة العباد إلى عبادة الله ، ومن ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى عدل الإسلام ، وخلصوا الأمة الرومية من عبادة المسيح ، والصليب والأحبار والرهبان والملوك ، خلّصوا الأمة الفارسية من عبادة النار وعبودية البيت الكياني ، والأمة الطورانية من عبادة الذئب الأبيض ، والأمة الهندية من عبادة البقر ، وأخرجوها إلى عبادة الله وحده وأخرجوها فعلاً من ضيق الدنيا إلى سعتها ومن جور الأديان إلى سعة الإسلام .

هذه هي الدعوة التي تهيب بكم يا رجال العالم الإسلامي ، وهذه الإنسانية البائسة تستصرخكم وتستغيثكم على أعدائها وليس العالم اليوم بأقل ظلماً ، وأقل فاقةً إلى الدعوة الإسلامية الصحيحة منه بالأمس ، وإنه لا يختلف عما كان عليه في القرن السادس المسيحي[1] .

ويقول : في « ردَّةٌ ولا أبا بكر لها » :

---

(١) من كلمة ألقاها في عام ١٩٤٧م في المؤتمر الثقافي الآسيوي المنعقد في دلهي اشترك فيه ممثّلوا البلاد العربية . (اقرأها في « محاضرات إسلامية في الفكر والدعوة » (٢/ ٥) ، طبع دار ابن كثير بدمشق)

www.abulhasanalinadwi.org

« لقد مضى علينا قرن كامل وأوربا تغتصب شبابنا وعقولنا وتنبت في عقولنا الشكَّ والإلحاد ، والنفاق ، وعدم الثقة بالحقائق الإيمانية والغيبية ، والإيمان بالفلسفات الجديدة الاقتصادية والسياسية ونحن معرضون عن مقاومتها ، ومعتمدون على ما عندنا من تراث ، مضربون عن الإنتاج الجديد ، معرضون عن فلسفاتها ونظمها ومحاسبتها محاسة علميَّة ونقدها وتشريحها كتشريح الأطباء ، الجراحين ، متعللون بالبحوث السطحية المستعجلة ، وبالزيادة في ثروتنا العلمية القديمة حتى فوجئنا في العصر الأخير بانهيار العالم الإسلامي في الإيمان والعقيدة ، وملك زمام الأمور في البلاد الإسلامية جيل لا يؤمن بمبادىء الإسلام وعقيدته ، ولا يتحمَّس لها ولا تربطه بالشعب المسلم المؤمن البريء إلا القوميَّة الإسلامية أو المصالح السياسية .

إنَّ العالم الإسلامي في حاجة شديدة إلى دعوة إسلامية جديدة ، وإن هتافات الدعاة والعاملين فيه وهدفهم اليوم « إلى الإسلام من جديد » ولا يكفي الهتاف ، إنه لا بدَّ من تصميم حكيم قبل العمل ، لا بد من تفكير هادىء عميق ، كيف نرد الطبقة المثقَّفة التي تحتكر الحياة وتملك الزمام ، إلى الإسلام من جديد ، وكيف نبعث فيها الإيمان والثقة بالإسلام ، وكيف نحررها من رقِّ الفلسفات الغربية والحضارة العصرية ونظرياتها اللادينية .

www.abulhasanalinadwi.org

إنه في حاجة إلى رجال ينقطعون إلى هذه الدعوة ، ويكرسون عليها علمهم ومواهبهم وكفايتهم ، ولا يطمعون في منصبٍ أو جاهٍ أو وظيفةٍ أو حكومة ولا يحملون لأحد حقداً ، ينفعون ولاينتفعون ويعطون ولا يأخذون .

إن العالم الإسلامي في حاجة إلى منظمات علميَّة تهدف إلى إنتاج الأدب الإسلامي القوي الجديد الذي يعيد الشباب المثقَّف إلى الإسلام بمعناه الواسع من جديد[1] »

وفي عام ١٩٥٠ تحدث الشيخ الندوي ، وهو يتطلَّع إلى العرب لينهضوا لحمل هذه الأمانة وهو يخاطب جزيرة العرب ، مهبط الوحي ، ومهد الإسلام ، في كلمة مثيرة ، فيقول في حديثه : من العالم إلى جزيرة العرب » .

« إنك تجودين عليَّ أيتها الجزيرة بمقدار عظيم من البترول ، أدير به ماكيناتي ، وأسَيِّر به عجلاتي ، فأنا أدين لك بالفضل وأشكر صنيعك ولكني كنت أنتظر منكِ أيتها الجزيرة السعيدة يا مولد نبي الرحمة ، شيئاً أعز وأثمن من الذهب الأسود . كنت أنتظر منك أن تخرجي لي عجلة الحياة التي غاصت في الوحل ، وأن توجهيها التوجيه الصحيح وأن

---

(١) « ردة ولا أبا بكر لها » انظر هذا المقال في « مقالات إسلامية في الفكر والدعوة » للعلامة الندوي ، (١/ ٢٩) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

تخلّصي ركّابها من هذا المأزق ، فقد عجزت حكمة الحكماء ، وصناعة الصناع عن إخراجها فأخرجيها بما معك من حكمة النبوة وقوة الرسالة والإيمان واليقين »[1] .

ويخاطب مصر ، وهي كنانة الإسلام فقال : « إنك يا مصر قد بنيت القناطر الخيرية فانتظم الري ، وازدهرت الزراعة وأخصبت البلاد ، وأريد أن تبني قنطرة خيرية أخرى ، هي أكبر القناطر في العالم وأنفعها ، تصل بين بحرين لم يزالا منفصلين، وبين حضارتين لم تزالا متنافستين وبانفصالهما وتنافسهما شقي العصر الجديد ، فلو أنك وصلتِ بينهما ، وكنتِ قنطرة تتبادل بها القارتان خيراتهما ومحاسنهما وفّرتِ على الإنسانية جهوداً وأوقاتاً كثيرة ، وصنتِها من الضياع كما أن قناطرك الخيرية وفّرت على مصر مياهاً كثيرة ، ونظمت أمور الريّ » .

ويقول : « إنَّ لك يا مصر يدين ، فخُذِي من الغرب ما فاق فيه من علم وتجربة ، فالحكمة ضالّة المؤمن ، ومدّي إليه يداً أخرى ، يدَ المساعدة والكرم ، وجودي عليه بما أنعم الله عليك من نعمة الإيمان ، وشرف الإسلام ، فذلك الذي لا يملكه الغرب ولا يستغني فيه عنك .

كُوني يا مصر رسول الإسلام إلى الغرب واحملي إليه

---

(١) العرب والإسلام .

www.abulhasanalinadwi.org

رسالة محمد ﷺ تلك الرسالة التي حملها العرب إلى الأمة الرومية . والأمة الفارسية فأنقذتهما من مخالب الموت وأفاضت عليهما ثوباً قشيباً من الحياة، ولوناً جديداً من النشاط »[1] .

ويناشد سورية فيقول : « إنَّ الأمم يا سورية لا تسُود باللغات والثقافات ، ولا تسود بالمدنيات والقوميات وإنما تسُود بالرسالات والدعوات والأهداف والغايات »[2]

وقد زار الشيخ أبو الحسن علي الحسني الندوي معظم البلدان العربية ، وخاطب حكّامها وعلماءها وجماهيرها بمشاعر جيّاشة وقلب خفّاق ، يثير النفوس ، وطبعت هذه الكلمات ونالت إقبالاً شديداً في الأوساط العلمية والدينية [3]، فكانت حديث قلبٍ إلى قلبٍ ، وهي تحمل بجانب معاني الدعوة ، والمواد العلمية روعة بيانيةً ، لأنها ذات تعبير شعوري ومعانٍ وجدانية مدعمةً بالمنهج العلميّ والأدلّة العقليّة وتحليلٍ للظروف .

---

(١) اسمعيات : ص (٢٦ ـ ٣٣) ، طبع دار ابن كثير بدمشق .

(٢) اسمعيات : ص (٣٤ ـ ٤٢) .

(٣) اقرأ كلَّ ذلك في « رحلات العلّامة أبي الحسن علي الندوي » و« خطابات صريحة إلى الأمراء والرؤساء » و« إسمعيات » طبع دار ابن كثير بدمشق.

www.abulhasanalinadwi.org

ولنقرأ قطعة من « الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » يقول بعد أن استعرض جهود المجدِّدين من المسلمين والعلماء الذين وقفوا وقفة متزمِّت إزاء الحضارة الغربية وما واجهه العالم الإسلامي من تردُّد نتيجةً للصراع الفكري والفراغ الهائل الذي نشأ فيه بسبب الانفصال بين الطبقتين ، المثقفة بالثقافة الغربية ، ورجال الدين المتصلِّبين .

« إنَّ الفراغ الهائل الأكبر في العالم الإسلامي هو وجود ذلك العبقري العصامي الذي يواجه الحضارة الغربية بشجاعةٍ وإيمانٍ وذكاءٍ ، ويشق له طريقاً خاصاً بين مناهجها ومذاهبها وبين فضائلها ورذائلها ، طريقاً يترفع فيها عن التقليد والمحاكاة وعن التطرف والمغالاة ، وغير خاضع فيها للأشكال والمظاهر ، والمفاهيم السطحية متمسكاً بالحقائق وأسباب القوة وباللباب دون القشور .

العبقري العصامي الذي يشقُّ له ولبلاده وأمته طريقاً مبتكراً ، يجمع فيها بين الإيمان الذي اختُصَّ به الأنبياء والرسل ، والدين الذي أكرمه الله وأمتَه به عن طريق محمد ﷺ ، وبين العلم الذي ليس ملك أمةٍ ولا بلدٍ ولا عصرٍ ، يأخذ من الدين الدوافع الخيِّرة التي هي أعظم قوة ، وأغنى ثروة في خدمة الإنسانية وبناء صرح المدنية والغايات الرشيدة الصالحة التي لا يوحيها إلا الدين السماوي والتربية الدينية السليمة ،

www.abulhasanalinadwi.org

ويأخذ من الحضارة الغربية الآلات والوسائل القوية الكثيرة التي أنتجتها ، وتوصلت إليها في سيرها العلمي الطويل وفي جهادها المتواصل الشاقّ » .

ويقول : « العبقري العصامي الذي يعامل الحضارة الغربية بعلومها ونظريّاتها واكتشافاتها وطاقاتها كموادٍ خام ، يصوغ منها حضارة قويّة مؤسسة على الإيمان والأخلاق والتقوى والرحمة والعدل في جانب ، وعلى القوة والإنتاج والرفاهية وحب الابتكار في جانبٍ آخر ، ولا يأخذ الحضارة الغربيّة كشيء تم تكوينه وتركيبه وخُتِم عليه ، فلا يؤخذ إلا برمته ولا يُقْبل إلا على علاته ، إنما يختار كأجزاء ، يختار منها ما يشاء ويركب منها جهازاً يخضع لغايته وعقيدته ومبادئه ونظام خلقه وما يكلّفه به دينه من منهجٍ خاصٍ للحياة ، ونظرة خاصة إلى الدنيا وسلوك خاصٍ لبني النوع ، وسعيٌ خاص للآخرة ، وجهادٌ دائم ﴿ حَتَّىٰ لَا تَكُونَ فِتْنَةٌ وَيَكُونَ ٱلدِّينُ كُلُّهُۥ لِلَّهِ ﴾[1] [الأنفال : ٣٩] .

ذلك هو الطريق ، الطريق الواقعي ، وهو الطريق المضمون والمعقول ، لا تطرُّف فيه ولا تنازل ، ولا جحود فيه ولا إجحاف ، وقد سلك المفكر الإسلامي الكبير هذا المسلك

---

(١) الصراع : ص(٢٠٩) طبع دار القلم ـ الكويت .

www.abulhasanalinadwi.org

في سائر كتبه في « بين الإيمان والمادية » و« الصراع بين الفكرة الإسلامية والفكرة الغربية » و« نحو التربية الإسلامية الحرة » و« بين الدين والمدنية » و« الأركان الأربعة » وفي حديثه مع الغرب ، وفي أحاديثه مع الإخوان ، وفي اسمعيّاته ، ولنفهم أساس فكرةٍ نقتبس من العلاج الذي وصفه للأزمة الفكرية التي تسود العالم الإسلامي ، يقول بعد بحث أسباب التناقض والاضطراب الفكري في الشباب : « العلاج عندي في هذه البيئة العنصرية المتناقضة يتلخّص في النقاط الآتية :

١ ـ إثارة الإيمان والاحتساب في نفوس الشباب ، والاعتناء الزائد بفضائل العلم والعلماء ، ووجوب الإخلاص ، والتحذير من أغراض العلم الدنيوية ، أو طلب العلم لغير الله ولغير الدين .

٢ ـ وجود الأساتذة الذين أكرمهم بقوة الشخصية ، ورسوخ الإيمان والعلم ، والعقل السليم ، والقلب الرفيق ، والعاطفة القويّة .

٣ ـ وجود دعوة إيجابية قويّة تشغل عقول الشباب ، وتستولي على مشاعرهم ، وتحرّك ملكاتهم العملية ، وما طُبعوا عليه من حبٍّ للحركة والعمل والكفاح ، ولا ندع مكاناً لدعوة أخرى يؤمنون بفضلها .

www.abulhasanalinadwi.org

٤ ـ إيجاد نظام اجتماعي رواق ، يعيش فيه الشباب حياة اجتماعية إسلامية ، تحت إشراف أساتذة ومراقبين ، يكونون القدوة الحسنة والمثل الكامل في الخلق والسيرة وذوق العلم وذوق العبادة .

٥ ـ تنظيم محاضرات عامة يدعى لها كبار العلماء وأقطاب الفكر الإسلامي ، تغرس في نفوس الشباب العقيدة القوية وتلهب الجمرة الإيمانية ، وتعقد الثقة بالإسلام وماشتمل عليه من تشريع وتعليم ، ودعوة ، ومناهج للحياة ، وتتناول القضايا التي تشغل العالم ، وتشغل الشباب بصفة خاصة ، والتحديات التي سيواجهونها لمجرَّد تخريجهم في الجامعة الإسلامية ورجوعهم إلى بلادهم » .

ولم يكتف الشيخ الندوي بتأليف كتب أو إلقاء محاضرات بل وراسل الملوك والحكام ، وأشار إلى مواطن الضعف ، والخطر الذي يحدق بالأمة الإسلامية ، وخاصة حكام جزيرة العرب الذين ناشدهم أن يكونوا أسوة وقدوة ، وأبرز أهمية ، الجزيرة العربية وموقعها الجغرافي[1]

وبهذه النماذج يمكننا أن ندرك خصائص الأسلوب

---

(١) راجع « كيف ينظر المسلمون إلى الحجاز وجزيرة العرب » طبع دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

الدعوي لسماحة الشيخ الندوي في مختلف مواضيعه ، ونقدِّر منهجه الفكري ، ونعرف معالم الطريق الذي يرشد إليه ، وهو أسلوب أخّاذ ، ومنهج عملي ، ودراسة واقعية ، وتعبير وجدانيّ ، وتصوير للواقع ، وبيان مؤثر .

وقد أنشأ الشيخ الندوي مدرسة فكريّة وأدبية ، يظهر طابعه في كتابات المتخرجين منها ، وفي طليعة المتخرجين من هذه المدرسة الكاتب الشاب المرحوم محمد الحسني منشيء مجلة « البعث الإسلامي » التي كان لها دور طليعيّ في محاربة الفتن والنظريات والحركات الهدّامة التي اجتاحت العالم العربي بصفة خاصة ، كالقومية ، والناصرية ، والاشتراكية ، والحضارة الغربية ، فحارب هذه الاتجاهات الهدامة بقلمه السيال ، الملهم بعاطفته الجياشة ، وأسلوبه الرشيق المتزن ، فكانت له جولات تدك أوكار الهدّامين ، ونال الاعتراف والتقدير من الأدباء الإسلاميين ، فلما صدرت مجموعة مقالاته « الإسلام الممتحن »[1] قوبلت بترحيبٍ بالغ .

وقد نشأ بأقلام المتخرجين من ندوة العلماء إتجاه أدبي جديد ، يتدفّق بالشعور والعاطفة الإسلامية ، وهو مدعَّم

---

(١) صدر من دار ابن كثير بدمشق .

www.abulhasanalinadwi.org

بالعلم الحديث والأسلوب العصري ، ووضع هؤلاء الكتّاب قواعد الصحافة الإسلامية العربية في الهند تتسم بالأسلوب الندوي الخاص ، وكانت لها مساهمة كبيرة في توجيه الصحوة الإسلامية .

صدرت مجلة « البعث الإسلامي » في عام ١٩٥٥م وصحيفة الرائد عام ١٩٥٩م في عصر الاضطراب الفكري في العالم العربي ، في عصر كانت الحضارة الغربية والاتجاهات المعادية للإسلام تجتاح البلاد ، وكانت الأقلام المسعورة تطلق لها الحرية للنيل من الإسلام والمسلمين وتواجه الحركات الإسلامية ضغوطاً سياسية ، فكانت مكمومة الأفواه ، وكان يزجُّ بالدعاة إلى السجون يلاقون فيها التعذيب ، فكانت « البعث الإسلامي » وصحيفة « الرائد » تؤدّيان واجبهما لمواجهة هذه الأخطار ، وتقولان كلمة الحق في وجه الطغاة ، وكان لها صدى بعيد ، وقد دخلت أحيانا إلى داخل الأسوار ، وخففت من آلام المعذَّبين ، ورفعت من معنوياتهم ، بالتعبير عن مشاعرهم والتنديد بأعدائهم ، وتستحق جهود الأستاذ محمد الرابع الندوي منشىء « الرائد » ، والأستاذ سعيد الأعظمي الندوي رئيس تحرير « البعث الإسلامي » وزميل المرحوم محمد الحسني ، ومقالاتهم الجريئة كل تقديرٍ وتنويه ، فإنهم مثّلوا شبه القارة

www.abulhasanalinadwi.org

الهندية بالمشاركة في هذا المجهود الجبَّار ، وكان لكتاباتهم تأثير لا ينكر على الفكر الإسلامي المعاصر ، وقد حملت البعث الإسلامي والرائد لواء الدفاع عن الإسلام علمياً وأدبياً وفكرياً ، ومكافحة التيارات الهدَّامة ، في العالم العربي كالقومية العربية والاشتراكية والنظريات السياسية والاجتماعية الوافدة ، ودافعت عن المظلومين والمضطهدين من الإسلاميين ورفعت كلمة الحق بقوة وجراءة فكانت متنفساً للدعاة الذين كمِّمت أفواههم ، وبديلاً عن الصحف الإسلامية التي خضعت للرقابة العسكرية ، ومُنعت من الصدور حيناً بعد حين فجاهد هؤلاء الكتَّاب بأقلامهم في سبيل كلمة الحق ، وشاركوا النضال في البلاد العربية ، وهم بعيدون عنها جغرافياً ، لكن قلوبهم وعواطفهم ومشاعرهم كانت دائماً مع الأخوة المستضعفين في البلاد العربية ، شعارهم الوحيد إلى الإسلام من جديد ، وارتفعوا عن الحواجز الجغرافية والقومية والسياسية ، رغم إمكانياتهم الضئيلة ، وخاطبوا الأمة الإسلامية في عصر القوميَّات ، وفي عصر الانقسام على أسس النظم الاقتصادية والفكرية ، بخطاب واحد ، « أخي في الدين لا في التراب والطين » وكان هذا الصوت غريباً في الستينات ، وكان رجعيَّة ، وعمالة ، فصار الآن مألوفاً ، وخفتت سائر الأصوات لفشلها في النهوض بالأمة الإسلامية ،

www.abulhasanalinadwi.org

واتجه العالم إلى الإسلام من جديد ، وهو يتطلّع إلى قيادة واعية ، مخلصة مؤمنة متدفّقة بالإيمان بالله ووعده ، وأجر الآخرة ، لا تلويها عن عزيمتها مصالح ذاتية ولا حزبية ، ولينصرن الله من ينصره ، وهو على ما يشاء قدير .

•••

www.abulhasanalinadwi.org

فهرس الكتاب

١. كلمة الناشر ٥
٢. استعراض كتاب أدب الصحوة الإسلامية ٧
٣. تقديم ١٣
٤. أدب الصحوة الإسلامية ٢١
٥. من أدب التقليد إلى أدب الحياة ٢٨
٦. نشأة الكتاب المتغربين ٤٤
٧. الكتاب الإسلاميون وجهادهم ضد التغريب ٤٧
٨. أدب مواجهة الفكر الغربي بأسلوب دفاعي حذر ٤٨
٩. الأمير شكيب أرسلان ٥١
١٠. مصطفى لطفي المنفلوطي ٥٣
١١. مصطفى صادق الرافعي ٥٦
١٢. الإمام حسن البنا الشهيد ٥٩
١٣. السيد قطب الشهيد ٦٢
١٤. الكاتب الكبير محب الدين الخطيب ٦٩
١٥. الشيخ علي الطنطاوي ٧٤
١٦. الدكتور مصطفى السباعي ٨٠
١٧. مساهمة الهند في نشر الفكر الإسلامي ٨٧
١٨. الأستاذ أبو الأعلى المودودي ٨٩
١٩. الدكتور محمد إقبال ٩١
٢٠. الشيخ أبو الحسن علي الندوي ٩٦
٢١. فهرس الكتاب ١١٦

www.abulhasanalinadwi.org